



شَرْحُ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ

لفضيلة الشيخ



حفظه الله تعالى






رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


شرح
الأصول الثلاثة



الطبعة الثانية

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م



هاتف : ٠٠٩٦٦١١٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط)

فاكس : ٠٠٩٦٦١١٤٧٢٣٩٤١

الموقع على الإنترنت :

www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني :

pop@madaralwatan.com



فضيلة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

حفظه الله تعالى




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- قام بالدعوة إلى الله عز وجل؛ وترّسم خُطا الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، واقتدى بنبينا صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الله تعالى، وفي تعليمه للناس وإرشاده، فهو إمام هدى عليه رحمة الله، ولهذا أثمرت دعوته، ونفع الله بها، وانتشرتْ دعوتُه في مشارق الأرض ومغاربها، وهدى الله على يديه خلقًا كثيرًا. وذاك -والله أعلم- بسبب إخلاصه لربه تعالى، وصدقه لنصحه لعباد الله، وما زلنا نتفيأ ظِلالَ هذه الدعوة الوارفة وثمارها الطيبة.

وقد دعا رحمه الله الناس إلى ما دعا إليه نبينا صلى الله عليه وسلم وبقية الرسل عليهم السلام، فدعا الناس إلى توحيد الله عز وجل وإخلاص الدين له، والقيام بأمره تعالى، وأداء حقوقه وحقوق عباده، فكان كلامه من القلب فنفذ إلى القلب، وكان لصدقة وإخلاصه في دعوته الأثر

الطيب في تقبل الأمة لمؤلفاته وانتشار دعوته، التي ألّف فيها المؤلفات القيّمة الكثيرة، الصغيرة في حجمها ومبناها، الكبيرة في معناها، فجاءت قليلة الكلمات محددة الهدف، وجامعة في الأدلة، وهذا هو الأسلوب العلمي، ومن هذه الرسالة التي لقيت قبولا ملحوظًا من علماء الأمة وطلبة العلم هذه الرسالة التي بين أيدينا، وهي «**رسالة الأصول الثلاثة**».

والأصول الثلاثة التي ذكرها رحمه الله هنا هي كالتالي:

الأصل الأول: معرفة الإنسان ربه.

الأصل الثاني: معرفة الإنسان الإسلام بالأدلة.

الأصل الثالث: معرفة نبينا محمد ﷺ.

وهذه الأصول الثلاثة هي التي يُسأل عنها الإنسان إذا وُضِعَ في قبره، وهي التي ذكرها ﷺ في قوله: «**فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ. فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ.**

وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ لَهُ:

لاَ دَرَيْتَ، وَلاَ تَلَيْتَ. ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً فَيَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ [(١)].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ» كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة[(٢)].

فهذه الأصول الثلاثة التي ألّف فيها الإمامُ رسالةٌ عظيمة، ولهذا صارت هذه الرسالة تُحفظ، يحفظها الطلبة الصغار والكبار، ولا يُستغني عنها، وتُدرّس في المدارس، وفي المساجد، وهي من أوّل ما يبدأ به طالب العلم، فيما يتعلّق في العقيدة.

حيث يبدأ بدراسة «**الأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، وكشف الشبهات**»، ثم يترقى إلى «**كتاب التوحيد**»، ثم «**العقيدة الواسطية**» لشيخ الإسلام ابن تيمية، ثم «**العقيدة الطحاوية**»، ثم

---

(١) الثقلان: الإنس والجن.

(٢) حديث صحيح: ذُكر بألفاظ متقاربةٍ، وقد جمعها الشيخ الألباني رحمه الله في «أحكام الجنائز»، وقال في تخريجه: «أخرجه أبو داود (٢ / ٢٨١)، والحاكم (١ / ٣٧ - ٤٠)، والطيالسي (رقم ٧٥٣)، وأحمد (٤ / ٢٨٧، ٢٨٨ و ٢٨٨ و ٢٩٥ و ٢٩٦) والسياق له، والآجري في «الشريعة» (٣٦٧ - ٣٧٠). وقال الحاكم: « صحيح على شرط الشيخين». وأقره الذهبي، وهو كما قالا، وصححه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١ / ٢١٤)، و«تهذيب السنن» (٤ / ٣٣٧)، ونقل فيه تصحيحه عن أبي نعيم وغيره». ا.هـ.

«الحموية»، ثم «التدمرية»، ثم كتب السنة؛ مثل «السنة» للإمام أحمد، و«السنة» لابنه عبد الله، و«السنة» للخلال، و«السنة» للبربهاري وغيرهم.

والمؤلف رحمه الله الشيخ الإمام المجدد أتى بكلماتٍ وبأسلوبٍ علمي وأصيل يفهمه كل أحد، ليس فيه حشوٌ ولا تعقيدٌ، ولا تكرار، ولا زيادة. وكل كلمةٍ يتكلّم بها يعقبها بالدليل، لأن الكلام لا يصح إلا بدليل، كما أنه يكون أثبت للمعلومة، وأقوم بالحجة.

فأنا أُوصي أبنائي وإخواني العناية بهذه الرسالة بتدريسها للصغار والكبار، وتَفهُّم معانيها، فهي -ولله الحمد- مختصرة، وحبذا لو شُرحتْ شرحًا مختصرًا، أو شرحًا متوسطًا، حسب مستوى الدارسين، فهي إن أراد الإنسان أن يتوّسع في شرحها لأتى بشرح مجلدات، لما فيها من العلم والأدلة المختصرة الألفاظ، الغنية بالمعاني.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



شرح الكتاب

قال المصنف رحمه الله:

«اعْلَمْ [١] رَحِمَكَ اللهُ [٢].

[١] يقول رحمه الله في أول هذه الرسالة في مطلعها: « اعْلَمْ » كلمة اعلم، يعني تيّقن واجزم، فالعلم هو حكم ذهن الجازم، وهو ما يتيقّنه الإنسان، لأن المدركات أربعة أنواع: « العلم، الشك، الظن، الوهم ». فالشيء الذي تتيقن فيه يُسمّى « علمًا ». وأما الشيء الذي تشك فيه وتتردد؛ فإن كان متساوي الطرفين مترددًا بين اثنين، لا يترجح أحدهما على الآخر: يسمى «شكًّا». وإن كان الأمر مترددًا في بين اثنين أحدهما أرجح من الآخر؛ فالراجح: يُسمى «ظنًّا»، والمرجوح: يسمى «وهمًا»(١).

[٢] « رَحِمَكَ اللهُ »؛ هذه جملة خبرية، والمقصود منها الدعاء، والمعنى: يرحمك الله (٢).

(١) انظر معالم أصول الدين (١/ ٢٢)، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (١/ ٢٧٥)، والبحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٤٠).

(٢) قال ابن نجيم الحنفي في البحر الرائق (ج ٤ / ص ١٤٠): «رَحِمَك الله: أُخرِجَ في صُورَةِ الْخَبَرِ ثِقَةً بِالِاسْتِجَابَةِ، كَأَنَّ الرَّحْمَةَ وُجِدَتْ فَهُوَ يُخْبِرُ عنها ».

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ[١]:........................

كما قال الإمام أحمد رحمه الله في رسالة الرد على الزنادقة: « يحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنورِ الله أهلَ العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضال تائه قد هدوه! فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم!!» [١]. أي أن أثر العلماء على الناس حسن؛ يُعلّمونهم ويُرشِدونهم، وينقذونهم من الجهالات، بينما الناس يؤذونهم.

وقال ابن القيم رحمه الله في أهل العلم: « هم من اهتدى بهم الحائر، وسار بهم الواقف، وأقبل بهم المعرض، وكمُل بهم الناقص، ورجع بهم الناكص، وتقوى بهم الضعيف » [٢].

[١] أي: اجزم وتيّقن، ولا تشك ولا تتوهم أنه يجب عليك وجوبًا -وليس نافلة- أن تتعلم هذه الأربعة مسائل، فإن لم تتعلمْها فإنك آثمٌ، لأن الواجب هو ما يُثاب فاعله ويُعاقب تاركه [٣].

فإذا تعلّمت هذه المسائل الأربعة فأنت مُثاب، وإذا تركتها=

(١) الرد على الزنادقة والجهمية (١/ ٦).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٠٤).

(٣) انظر البحر المحيط في أصول الفقه (١ / ١٤٠)، والتحبير شرح التحرير (٢ / ٨١٥)، والتقرير والتحبير (٢ / ١٥٢)، والمحصول للرازي (١ / ١١٨).

* الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّه ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ[١].

= فأنت مُعاقب، لأن من ترك تعلُّمَها مُذنبٌ وعاصٍ، لمخالفته الواجب؛ ثم ذهب الإمام يذكر هذه المسائل الأربع إجمالًا فقال:

[١] أولا: العلم؟ فسّره العلماء؛ بأنه معرفة الله لأ، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، هذا واجب عليك.

أما العلم بالله ﷻ: فهو العلم بأسمائه وصفاته، وأن الله لأ موجودٌ، وأنه فوقَ العرش، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى الذي سمى بها نفسه، وسماه بها رسوله ﷺ.

والعلم بأن الله هو الرب وغيره مربوب، وأنه الخالق وغيره مخلوق، وأنه المالك وغيره مملوك، وأنه المُدبِّر وغيره مدَبَّر، والعلم بأن الله هو المستحق للعبادة، لا يستحقها غيره، والعبادة هي الأوامر والنواهي، فتفعل الأوامر وتترك النواهي، وكذلك العبادة هي كل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فإن أنت عرفت هذا تكن عرفتَ الله ﷻ. فالله ﷻ هو المستحق للعبادة كلها، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والدعاء، والذبح، والنذر، =

....

= والاستعاذة، والاستغاثة، والتوّكل والخوف، والرجاء، وهذه الأنواع سيبينها المؤلف رحمه الله.

ومعنى علمك أن الله مستحق لها، أي تعلم أنها حقه ـ، ولا يجوز صرفها لغيره، فإن الله لا يرضى أن يصرفها العبد لغيره، لا لَمَلَكٍ مقرَّب، ولا لنبيٍّ مرسلٍ، وهما أشرف الخلق جميعًا، فلا تصرف لملك مقرب لا لجبريل ؛ ولا لغيره من الملائكة، ولا لمحمد ﷺ ولا لغيره من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، إلا أن الرسول له حقٌّ وهو الطاعة والمحبة، والتعظيم، لكن ليس له حق في العبادة أو القصد بها، وبهذا تكون عرفت الله تبارك وتعالى.

وأما معرفة نبيه ﷺ: فأن تعرف أن نبيه محمدًا بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم-. وتعرف أنه بُعِثَ بمكة، كما سيبينه المؤلف رحمه الله.

وأما معرفة دين الإسلام: فهو أن تعرف دين الإسلام بالأدلة، لا بالتقليد، وأنه الاستسلام لله -تعالى- بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، فالإسلام سُمّي الإسلام بها=

* الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ[١]. ....

= فيه من الاستسلام والانقياد لله ـ، وتطيع أمره، وتتبرأ من الشرك وأهله.

[١] ثانيًا: العمل به: أي العمل بما سبق من العلم، فإنه لا يكفي كونك عرفت الله لأ بأسمائه وصفاته وأفعاله، وكونك عرفت نبيه ﷺ، وعرفت دين الإسلام، بل لا بد أن تِعمل أيضًا بمقتضى هذا العلم.

عملك بمقتضى العلم بربك: أي: عملك بمقتضى علمك بأسمائه وصفاته ـ، فهو أن تُثبت له الأسماء الحسنى، وتُثبت له الصفات العُلى، وتعتقد أنه هو الخالق والمدبر، الرازق، المالك، الرب، وتعتقد أنه مستقل للعبادة، هذا هو العمل، تعتقد بقلبك، وتعمل بجوارحك، فتصرف العبادة لله ـ، كالصلاة والصيام، والزكاة، والحج.

عملك بمقتضى علمك بنبيك ﷺ: هو أن تعتقد أن نبيك محمد ﷺ، ووجوب اتباعه وتعظيمه ومحبته، وتصديق أخباره، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، والعمل على تحقيق هذا الاتباع في أعمالك كلها.

عملك بمقتضى معرفتك بدين الإسلام: فهو أن تستسلم لله ﷻ=

* الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ[١] .

* الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ »[٢]......................

= بالتوحيد، وتنقاد لله بالطاعة، باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وتتبرأ من الشرك وأهله. فإن أنت عملت بهذا تكن قد حققت الأمر الثاني، وهو العلم بمقتضى علمك بالله ـ، ونبيه ﷺ، ودين الإسلام بالأدلة.

[١] **ثالثًا: الدعوة إليه**: إذا مَنَّ الله عليك بالعلم والعمل، فإنه يجب عليك أن تدعوَ الناس إلى هذا الخير، الذي مَنَّ الله عليك به، فتدعو الناس إلى التوحيد، وإلى الإيمان بالله، والإيمان بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بأنه يستحق العبادة. وتدعو إلى الإيمان بمحمد ﷺ والاعتقاد بأنه الرسول وأنه خاتم النبيين، فلا نبي بعده، وأنه الرسول إلى الثقلين إلى الجن والإنس. وتدعو إلى دين الإسلام، وتدعو الناس إلى أن يُوحدوا الله، وينقادوا له بالطاعة، ويتبرأوا من الشرك وأهله، ويمتثلوا الأوامر ويجتنبوا النواهي، وبذلك تكون دعوت إلى الله سبحانه وتعالى.

[٢] **رابعًا: الصبر على الأذى فيه**: يعني: إذا عَلِمت ثم عَمِلت، ثم دعوت للناس إلى التوحيد.. فإنه لا بد أن يُصيبك أذى، لأن =

=الذي يدعو الناس يقف أمامهم، ويقف أمام رغباتهم وشهواتهم؛ فيمنعهم من أن يُباشِروا الأعمال التي يهوونها، فإذا منعهم آذوه؛ إما بالقول أو بالفعل، فلا بد من الصبر.

فاصبر على الأذى الذي يُصيبك بالقول أو بالسب أو الشتم أو الاعتداء باليد، لا بد أن تصبر، فإذا لم تصبر انقطعت؛ اصبر على الذي يصيبك من سِباب وشَتم وضرب وسجن.

والأنبياء عليهم السلام - وهم القدوة والأُسوة - أوذوا على هذا فصبروا، نوح ؛ مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، وهم يُؤذونه، ويتهمونه بالجنون تارة، وبالسحر تارة؛ وكذلك هود، وصالح، وموسى، وعيسى، وشعيب، ونبينا -عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم- أصابه ما أصابه، وُضِع السلا [(١)]. على رقبته -عليه الصلاة والسلام- [(٢)]، وخنقه بعض الكفار، حتى جاء أبو بكر وذب عنه [(٣)]، حاولوا قتله مرات.

فطريق الدعوة ليست مفروشة بالورود، ولا بد من الصبر =

---

(١) السلا :الذي يكون فيه الولد في بطن أمه، وقيل : هو الكرش.

(٢) أخرجه مسلم (٥/ ١٧٩، رقم ٤٧٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٤٥، رقم ٣٤٧٥).

وَالدَّلِيلُ[١]، قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [٢]: ﴿وَٱلْعَصْرِ [٣] ﴿١﴾ ....

=والذي لا يصبر ينقطع، ولهذا قال الله للنبي ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف: ٣٥].

هذه هي الأمور الأربعة التي يجعل على المسلم أن يتعلّمها: «العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه».

[١] ولما حكم المؤلف رحمه الله على تعلم هذه الأمور بالوجوب، فقد ذهب يستدل على ذلك.

[٢] هذه الآية هي الدليل على المسائل الأربعة التي ذكرها المؤلف رحمه الله، وأنه يجب على الإنسان: أن يتعلّمها، ويعمل بها، ويدعو إليها، ويصبر عليها.

[٣] في هذه الآية يقسم الله بالعصر، فقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ والواو: واو القسم، والقسم للتأكيد، والعصر: هو الزمان -على الصحيح-[1]، لأنه محل الزوال، واكتساب الحسنات والسيئات، أي: محل العمل. و«العصر» هو المقسم عليه.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ١٧٨)، والدر المنثور (٨ / ٦٢٢).

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ [١] ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ [٢]

[١] قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: هو المقسم عليه، و«إن» للتأكيد، واللام في «لفي» للتأكيد، فيصير فيها ثلاثة مؤكدات، و(أل) التعريف في «الإنسان» للجنس، أي: جنس الإنسان. في خسارة وفي هلاك (١). فأقسم الله ﷻ على هذا الأمر، وهو الصادق وإن لم يُقسم، ولكن لتأكيد المقام. **قال السعدي** رحمه الله: «والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم. وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات» (٢).

وهي قوله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾، فهؤلاء هم الرابحون، استثناهم الله من الخُسران.

[٢] أي الإيمان الصادق المبنيُّ على علم، فليس هناك إيمان صحيح إلا بالعلم، وهذا العلم هو المسألة الأولى.

---

(١) انظر تفسير البغوي (٨/ ٥٢٢)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٨٠).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٩٣٤).

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ [١] وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ [٢] وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ[٣] ﴾ [العصر: ١ – ٣]. قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ[٤]...

[١] هذه هي المسألة الثانية؛ أي العمل بالعلم، والصالحات: هو أداء الواجبات وترك المحرّمات.

[٢] هذه هي المسألة الثالثة، أي الدعوة إلى الله ـ، ووصفها ـ بأنها الدعوة إلى الحق.

[٣] وهذه هي المسألة الرابعة، أي: الصبر على ما سبق من المسائل الثلاث.

فالناس كلهم في خسارة وهلاك؛ إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع التي هي: «الإيمان المبني على العلم، والعمل، والتواصي بالحق وهو الدعوة إلى الله، والتواصي بالصبر؛ فمن استكمل هذه الصفات وأقامها واستقام عليها كَمُلَ ربحه، فهو الرابح، ومن ضيّعها كمل خسرانه، ومن نقص شيئًا منها فاته من الربح، وحصل على شيء من الخسران بقدر نقصه من هذه المسائل.

[٤] وهذا القول من الإمام الشافعي رحمه الله المراد به سورة العصر.

لَكَفَتْهُمْ) [(١)]»[١].

[١]أي أن هذه السورة لو ما أنزل الله على خلقه حجةً إلا هذه السورة لكفتهم، لما فيها من إقامة الحجة عليهم، ففيها بيان أن الرابحين هم الذين يتصفون بهذا الصفات، وأن من فقد هذا الصفات فهو خاسر.

وليس معنى ذلك أنها تكفيهم في تفصيل أمور الشريعة، إذ أن التفاصيل لا بد منها، لمعرفة أحكام الصلاة، وأحكام الصيام، وأحكام الحج وغير ذلك من العبادات والمعاملات، لكن مقصود الشافعي رحمه الله أنها تكفيهم في إقامة الحجة عليهم، لأن هذه السورة أوجبت على الإنسان أن يتعلّم ويعمل ويدعوَ ويصبر، وبينّت أن هذه الصفة صفة الرابحين، وأن من فقدها فهو الخاسر. وقد أنزل الله لأ غير هذه السورة من الحجج ما لا حصر له في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ.

وقال ابن رجب رحمه الله: «هذه السورة ميزان للأعمال يزن المؤمن =

(١) ذكر ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٣) عن الشافعي رحمه الله نحوه بلفظ «لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم». وذكره ابن القيم في التبيان ص٥٣، وفي مفتاح دار السعادة (١ / ٥٨)، وفي الاستقامة (٢ / ٢٥٩)، وفي عدة الصابرين ص ٦٠ عن الشافعي أيضًا بلفظ «لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ[١] رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (بَابُ: الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ[٢])؛..

= بها نفسه، فيبين له بها ربحه من خسرانه»[(١)].

[١] الإمام البخاري هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٢٥٦هـ، صاحب الصحيح، إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، مُحدّث مشهور[(٢)]. وكتابه «صحيح البخاري» أصح الكتب بعد كتاب الله لا عند المحققين، وعند كثير من أهل العلم وأهل الحديث، وبعض العلماء قدّم صحيح مسلم، لكن الذين قدموا صحيح مسلم إنما قدّموه من جهة الصناعة الحديثية ومن جهة الترتيب، وإلا فإن صحيح البخاري أصح الكتب، ومسلم تلميذٌ للبخاري.

[٢] أي أن العلم مقدّم على القول والعمل، فبداية يجب التعلم، ثم من بعده القول والعمل، فالعلم إمام لهما، لأن الإنسان إذا عَمِل، بدون علم صار عملُه في ظلام، وصار في ضلال =

(١) لطائف المعارف ص٣١٣ .

(٢) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ (٢/ ١٢٢)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٤٧)، والوفيات (١/ ٤٥٥)، وتاريخ بغداد (٢/ ٤ – ٣٦)، وانظر هدى الساري مقدمة فتح الباري (٢/ ١٩٣ – ٢٠٦).

فالله ﷻ قسّم الناس في سورة الفاتحة -وهي أم القرآن- إلى ثلاثة أقسام، فبعد أن حَمِدَ ﷻ نفسه وأثنى عليها، ومجّدها، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، ثم بيّن أنه مستحقٌّ للعبادة، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، ثم جاء بعدها الدعاء، هذا الدعاء العظيم، أعظم دعاء وأجمعه وأفضله وأنفعه.

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾؛ فالله ﷻ قسّم خلقه إلى ثلاثة أقسام.

١. **قسم أنعم عليهم**: وهم الذين منَّ الله عليهم بالعلم والعمل.
٢. **قسم مغضوب عليهم**: وهم الذين يعلمون ولا يعملون
٣. **قسم ضالون**: وهم الذين يعملون بدون علم.

لذا فنحن نسأل الله ﷻ في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وهم المؤمنون العاملون بما يعلمون. ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الذين عَلِموا ولم يَعْمَلوا، وصاروا غاوين، يعلمون ولا يعملون. ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: ولا طريق الضالين الذين هم في جهل وضلالة.

وَالدَّلِيلُ [١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱعْلَمْ [٢] أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ[٣] لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ [قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ](١).

وحاجة الإنسان إلى هذا الدعاء أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب، وأعظم من حاجته إلى النفَس الذي يتردد بين جنْبيه، لأن الإنسانَ إذا فقد الطعامَ والشرابَ والنفَس مات الجسدُ، والموتُ لا بد منه إن عاجلًا أو آجلًا، ولا يضر الإنسانَ موتُ الجسد إذا كان مستقيمًا على طاعة الله، وكان قلبه سليمًا حيًّا، لكن إذا مات قلبه بفقد الهداية فإنه يموت قلبه وروحه وصار إلى النار.

[١] هكذا كان المؤلف رحمه الله لا يقول أمرًا إلا ويذكر له دليلًا من كتابٍ أو سنةٍ.

[٢] في هذه الآية قال تعالى: «اعلم»، وهذا العلم.

[٣] هذا عمل، لذا قال: «فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ».

وسئل سفيان بن عيينة: عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، ثم أمره بالعمل=

(١) ما بين معقوفين ليس في «البخاري».

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ-[١] أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِلِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ[٢]:

= بعد ذلك فقال له: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾(١).

[١] سبق الحديث عن قوله: «**اعلم -رحمك الله-**».

[٢] أي: أنه يجب على كل مسلم ومسلمةٍ تعلّم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن، فإذا لم يتعلّمهن صار آثمًا عاصيًا، لأن الواجب -كما مر بنا- هو ما أُثيب فاعله، وعُوقِبَ تاركه، كالصلاة، فمن صلى أثابه الله، ومن لم يُصلِّ عاقبه الله، كذلك بر الوالدين، فمن برَّ والديه أثابه الله، ومن لم يبر والديه عاقبه الله.

فهذه المسائل الثلاث يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلّمهن وأن يعمل بهن، فمن تعلّمهن وعَمِلَ بهن أثابه الله، ومن لم يتعلّمهن ولم يعمل بهن، أو تعلمهن ولم يعمل بهن فهو مُعاقَب آثم، فتعلم هذه المسائل فرض على الإنسان كما أنه فُرض عليه أن يتعلم المسائل الأربعة الأوَل: «العلم بالله لأ ونبيه ﷺ وبالإسلام، والعمل بمقتضى هذا العلم، والدعوة إليه، والصبر على الأذى»، إذن فتعلُّم هذه المسائل فرضٌ وليس =

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٠٥)، والكشاف (٤/ ٣٢٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٤٢).

* الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ[١]؛ وَالدَّلِيلُ[٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ[٣] رَسُولٗا[٤] شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ[٥] رَسُولٗا[٦]..............................

= نافلةً، يتعلّمهن ثم يعمل بهن.

[١] هذه هي المسألة الأولى؛ أن تعلم أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا رسولًا، وهذا الرسول جاء بالأوامر والنواهي، وأنزل الله عليه القرآن، وأعطاه السنة وهي وحي ثانٍ، فمن أطاع هذا الرسول ممتثلًا الأوامر دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، لا بد أن تعلم هذا، لأنك مخلوقٌ لهذا، ما خُلِقت كالبهيمة تأكل وتشرب، لا بل مخلوق لتعمل.

[٢] كما هو منهج المؤلف أنه لا يأتي بشيء إلا ومعه الدليل من الكتاب أو السنة، يذكر هنا الدليل على المسألة الأولى.

[٣] وهذا خطاب لهذه الأمة، أي إنا أرسلنا إليكم يا أمة محمد.

[٤] وهو محمد ﷺ.

[٥] أي: كما أرسل الله لأ إلى فرعون -الطاغية في زمانه-.

[٦] هو موسى -عليه الصلاة والسلام-.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[المزمل: ١٥-١٦][١].

* الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ[٢] في عِبَادَتِهِ[٣]، لا

[١] أي: عصى فرعون موسى عليه السلام فأخذه الله تعالى أخذًا شديدًا، فقد أهلكه الله وأتباعه، وأغرقهم، فصارت أجسامهم إلى الغرق، وأرواحهم إلى النار والحرق -نعوذ بالله. وفي هذه الآية دليل على أن من لم يُطع الرسلَ فإن الله يأخذه ويُعاقبه، كما عاقب الله فرعون.

[٢] وهذه هي المسألة الثانية، وهي أن نعلم أن لله تعالى حقًّا، وأن الرسولَ له حقٌّ، فلا تخلط بين الحقوق، فالله تعالى حقه العبادة وحده، والعبادة لا تصح إلا بإخلاصها لله، والمتابعة لنبيه ﷺ، فالعبادة لا تصح إلا بهذين الشرطين، «الإخلاص، والمتابعة»، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

[٣] العبادة هي الأوامر والنواهي. فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضى، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. و«هي غاية التعظيم، فلا تحق، إلا لمن له غاية الإنعام: وهو الخالق الرازق، المحيي المميت، المثيب المعاقب، الذي منه أصول النعم =

مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا[١] ﴾ [الجن: ١٨].

=وفروعها. فإذا وجهت إلى غيره وتعالى علوًا كبيرًا أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن إلا ظلمًا وعتوًا وغيًا وكفرًا وجحودًا، وخروجًا عن الصحيح النير إلى الفاسد المظلم، فما ظنك بمن وجه عبادته إلى جماد ليس به حس ولا شعور ؟» (١).

فالصلاة من العبادة لذا هي حق الله وحده، وهو ـ لا يرضى أن تصلي للنبي ﷺ، أو تصلي لجبريل ؛، أو للقمر، وكذلك الصوم والحج فلا تصوم أو تحج للرسول، وكذلك الدعاء لا يرضى ـ أن تدعوه وتدعوا الرسول، وما يرضى أن تذبح له وتذبح للرسول، وما يرضى أن تتوكل عليه وتتوكل على الرسول.

[١] كلمة (أحدا) عند أهل الأصول نكرة، سبقها نهي، والقاعدة عند الأصوليين أن النكرة إذا سبقها نهيٌ أو نفيٌ فإنها تَعّم، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ مطلقة، فكل ما سوى الله أحد، لا تدعُ مَلكًا ولا نبيًّا، ولا شجرًا، ولا حجرًا، ولا جنًّا، ولا جمادًا، ولا غير ذلك . قال ﷻ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ =

(١) الكشاف (٣ / ٢١)، والتفسير الكبير (٣٢ / ٤٣)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٢١٤).

* **الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَـهُ مُـوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.[١]..................**

=وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقال ﷺ: « قالَ اللهُ تباركَ وتعالى : أنا أغْنى الشُّركاءِ عن الشِّركِ، مَنْ عَمِل عَمَلا أشركَ فيه مَعي غيري تركتهُ وشِرْكَهُ»(١).

[١] يعني من أطاع الرسول -عليه الصلاة والسلام- وامتثل أوامره واجتنب نواهيه، وصَدَّقَ أخباره، ووحّد الله وأخلص له العبادة؛ عبده وحده وكانت العبادة موافقة لشرع الله، وصبر على عهد رسول الله ﷺ، لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله، والموالاة يعني المحبة، والمحاد لله ﷻ ورسوله ﷺ، هو المشاق لهما المفارق للدين، وهو الكافر، فالكافر لا يجوز موالاته ولا محبته.

وهذا من أصول الدين، وهو الولاء والبراء، فالمسلم الموحِّد لا يحب الكافر ولا يوّده؛ بل يُبغِضُه ولو كان أقرب قريب، حتى ولو كان أباه أو أمه، أو أخاه بالنسب يُبغضه دينًا ولا يحبه، =

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٩، رقم ٢٩٨٥).

....

=ويعتقد أنه عدوٌّ له، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

قال البغوي: «أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار وأن من كان مؤمنا لا يوالي من كفر وإن كان من عشيرته»[١].

والكفّار على قسمين:

القسم الأول: المحاربون: أي الذين يحاربوننا، وهؤلاء يُقاتَلون، وليس بيننا وبينهم إلا القِتال، لا يُطعَمون ولا يُسقَوْن، بل يترك أحدهم إن كان عطشان أو جائعًا يموت، لأنه عدوٌّ لك ويقاتلُك.

والقسم الثاني: غير المحاربين: وهم الذميون، بيننا وبينه عهد، كأن يدخل البلاد بأمان أو عهد، فله ذمة، لا يُقاتلون ولا يُخرجون من ديارنا، وهؤلاء لا يُقاتلون ولا يُخرجون من ديارنا، فهؤلاء لا بأس أن نبرهم، ونكسوهم، ولكن لا نُحبهم محبةً دينيةً؛ بل نبغضهم ونعتقد أنهم كافرون وأنهم أعداء لله، ونتبرأ من دينهم، لكن نُحسِن إليهم، ونُطعمهم ونسقيهم، =

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٣١٢).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ[١] وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ[٢]

=ونُعاملهم معاملةً حسنةً، وقد يكون هذا من أسباب دخولهم في الإسلام.

قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨- ٩].

[١] هذه الآية من سورة المجادلة دليل على ما سبق، فلا تجدُ مؤمنًا يوّدُ الكافر ويحبه، فإذا ودَّ الكافر وأحبه صار مثله، إذا أحب الكافر لكفره صار كافرًا مثله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]؛ ومن أحبهم لدينهم فهو منهم.

[٢] أي لا يحبون الكافر ولو كان من آبائهم، ولو كان ابنه، ولو كان أخاه، ولو كان من عشيرته، هؤلاء المؤمنون لا يودّون إلا المؤمنين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ[١] وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ[٢] وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ[٣] خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ[٤] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ[٥] وَرَضُواْ عَنْهُۚ[٦] أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ[٧] أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

[١] لأنهم يوالون في الله، ويُعادون في الله، فثبت في قلوبهم الإيمان.

[٢] أيدهم - بروحٍ منه؛ حيث استقاموا على طاعة الله، وأحبوا في الله، وأبغضوا في الله، فأيّدهم سبحانه بملائكته وبما جعل الله في قلوبهم من الإيمان.

[٣] هذا ثوابهم وجزاؤهم.

[٤] لا يرحلون.

[٥] فيه إثبات الرضا لله ﷻ، رضي الله عنهم، حيث أنهم موّحدون مخلصون له بالعبادة.

[٦] حيث أنه ﷻ أحلّهم دار كرامته.

[٧] هم أولياء الله وأحبابه. وأما حزب الشيطان فهم الذين يوادُّون الكفرةَ ويحبونهم، وهم الخاسرون، لما بذلوا من المودة للكافرين، فشابهوهم وانتفى عنهم الإيمان.

اعْلَمْ [١]- أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ [٢]- أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ[٣]، ....

[١] سبق الكلام عليه.

[٢] أي: أسال الله لك بالرشاد، أي: أن يرشدك الله لطاعته ويوفقك لها.

[٣] الحنيفة ملة إبراهيم، هي عبادة الله مع الإخلاص، وسميت الحنيفية لكونها من الحنف والميل(١). لكونها مائلةً عن الشرك إلى التوحيد، ولهذا تسمى الملة العوجاء، لأنها مائلة عن الشرك إلى التوحيد، فهي في بالنسبة للتوحيد ملة مستقيمة، وبالنسبة للشرك ملة حنيفية مائلة عنه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]. إذن: فالحنيفية سميّت حنيفية لكونها ملة إبراهيم، ولكونها مائلة عن الشرك إلى التوحيد، قال ﷺ: «أحبُّ الأديانِ إلى الله الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»(٢).

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٩/ ٥٧): «حنف عن الشيء وتحنف: مال. والحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق»، وانظر المعجم الوسيط (١/ ٢٠٣).

(٢) حديث حسن: أخرجه أحمد (١/ ٢٣٦ ، رقم ٢١٠٧) قال الهيثمي (١/ ٦٠) : رواه

مُخْلِصًا [١] لَهُ الدِّينَ. ....

والنهي عن المنكر، وبكفّ نفسك عن الفواحش، وعن المحرّمات، تعبد الله ـ مخلصًا له الدين. فالعبادة لا تكفي وحدها، بل لا بد معها من الإخلاص.

[١] **الإخلاص هو**: أن تعبده ولا تعبد غيره، لا تشرك معه غيره، لأن المشرك يعبد الله ويعبد غيره، فالمشركون الذين بُعِث إليهم الرسول ﷺ يُصلّون ويصومون ويتصدّقون، ويحجون ويذكرون الله كثيرًا، لكنهم يُشركون مع الله غيره، يدعون الله ويدعون معه غيره، يذبحون لله ويذبحون لغيره، ينذرون لله وينذرون لغيره.

وبما أن العبادة حق الله وحده لأ، فلا بد من الإخلاص فيها بأن أن توّجه له ـ دون غيره، وهذا هو الفرق بين دين المشركين ودين المسلمين.

أحمد والطبراني فى الكبير والأوسط والبزار ، وفيه ابن إسحاق ، وهو مدلس ولم يصرح بالسماع ، وقال الحافظ فى الفتح (١/ ٩٤) : وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ، وإسناده حسن . وأخرجه البخارى فى الأدب (١/ ١٠٨ ، رقم ٢٨٧) ، والبزار كما فى كشف الأستار (١/ ٥٨ ، رقم ٧٨) ، والطبرانى (١١/ ٢٢٧ ، رقم ١١٥٧٢) . وأخرجه أيضًا : عبد بن حميد (ص ١٩٩ ، رقم ٥٦٩) ، والبخارى معلقًا (١/ ٢٣) .

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَمَعْنَى (يَعْبُدُونِ): يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]».

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

ما الحنيفية ملة إبراهيم؟

الجواب: فسر المصنف رحمه الله الحنيفية بأنها أن تعبد الله، بأن تصرف العبادة لله، تعبد الله بالصلاة، وتعبده بالصوم، والحج، والدعاء، والذبح، والنذر، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والإحسان إلى الجيران، والجهاد في سبيل الله، والأمر المعروف

فالمشركون يعبدون الله، الذين بُعث إليهم النبي ﷺ يعبدون الله ويُصلون ويصومون وغيره لكنهم يعبدون معه غيره، ما أخلصوا العبادة لله، إذا قال له ماذا عبدت؟ قالوا: سمعت شيئًا يقولون الناس فعبدت.

الأصل الأول: معرفة الله ﷻ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ[١]؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ[٢]

[١] الرب في اللغة يطلق على الحفظ والرعاية وعلى الخالق المربي، والرب يطلق على المالك والسيد والمدبر والقيم والمنعم(١). والمصنف رحمه الله فسر الرب هنا بكلمتين «الخالق والمعبود» وهذا تعريف الرب عند الإطلاق فإنه يدخل فيه معنى الألوهية، وهذا بإجماع السلف. كما أن كلمة الله عند الإطلاق: معناه الخالق المعبود، أما عند الاقتران فتتضمن قاعدة «**إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا**»، إي: إذا قيل لك: من ربك؟ فهو يعنى الخالق المعبود، وكذلك «الله» إذا مرت عليك وحدها، لكن لو اجتمعا في سياق واحد «الله والرب»، فهناك يختلف فتعرف «الرب» بالخالق، و«الله» بالمعبود، فعند الافتراق يتسع، ويضيق عند الاجتماع.

[٢] لفظ الجلالة «الله» ﷻ أصل الله عن (إله)(٢). وأصل الله: الإله، سُهّلت الهمزة، ثم التقت اللام واللام فشددا، ومعناه ذو الألوهية، والألوهية معناها: العبادة، فهو الذي تأله وتعبده =

(١) غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ١٧٩).

(٢) انظر مختار الصحاح (١/ ٩)، ولسان العرب (١٣ / ٤٦٧).

....

=القلوب محبةً وإجلالًا، وخوفًا ورجاءً وتعظيمًا، وهو أعرف المعارف، وهو من أسمائه تعالى التي لا يُسمى به غيره. فاسم «الله» عَلَمٌ على الذات المقدّسة، وهو لا يُسمّى به غير الرّب تعالى، لا أحد تسمّى بهذا الاسم أبدًا، حتى الجبابرة، حتى الطواغيت والكفرة، ما أحدٌ منهم سمّى نفسه «الله» أبدًا، فرعون قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] ولم يقل: «أنا الله».

وأسماء الله عز وجل قسمان:

١-قسم خاص به: لا يسمى به غيره مثل الله، رب العالمين، خالق الخلق، مالك المُلك، القابض الباسط، والخافض والرافع، النافع الضار، المعطي المانع. ومن هذا النوع «الرحمن» ولهذا لما تسمى مسيلمة الكذاب بالرحمن لزمه ولصق به وصف الكذب، فلا يطلق مسيلمة إلا ويوصم بالكذب؛ لأنه تسمى بالرحمن -قبحه الله- وهو كذاب.

٢-وقسم مشترك: يُطلق على الله تعالى وعلى غيره، وإذا سُمِّي الله به فله الكمال، وإذا سُمّي المخلوق فله منه ما يُناسبه، مثل: الرحيم، والسميع، والبصير، والعليم، والقدير، والحي، كل هذه أسماء مشتركة، ومنها «المَلِك»، فهو من أسماء الله، كما أنه =

الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ [١]، ....

= يُسمى به المَلِكُ من ملوك الدنيا، لكن مُلك الله كامل وملك المخلوق ناقص، ومسبوق بالعدم، ويلحقه العدم أيضًا وذلك بالزوال.

وكذلك أيضًا «الحي»، من أسماء الله الحي، والمخلوق حي، والله له الحياة الكاملة، والمخلوق له حياة تناسبه، حياته ضعيفة يلحقها النوم والموت والضعف والفساد، لكن حياة الله كاملة.

[١] **تربية الله للخلق نوعان:**

تربية عامة: تشمل المؤمن والكافر، فالله -تعالى- ربى جميع الخَلق بنعمه، خلق المؤمن والكافر، ورزقهم، وأعطاهم السمع والأبصار، والأفئدة، وأنعم عليهم بالنِعَم، وأدرّ عليهم الأرزاق.

وتربية خاصة: خاصة بالمؤمن؛ وهي تربيته بالإيمان، والعمل الصالح، بأن وفقه الله وهداه، وهدى قلبه وجعله يقبل الحق ويرضاه ويختاره، ويُؤثره على غيره، هذه ثروة دينية خص الله بها المؤمن دون الكافر، فجعله يحب الإيمان، وزيّنه في قلبه، وجعله يكره الكفر والفسوق والعصيان، وجعله راشدًا، كما قال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ =

وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ».

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ [١]: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، وَقَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا [٢]...................

=إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧-٨].

[١] لأن الله تعالى أعطاك السمع والبصر والعقل، يُشاهد هذه الآيات، ويراها، فهي دليل عليه ـ، كما قال الشاعر [(١)]:

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

[٢] يعني يغطي الليل والنهار بعضهما، فإذا انتهى النهار جاء الليل وغطاه، وإذا انتهى الليل جاء النهار وأزاله، فالليل يطلب =

(١) هو أبو العتاهية، والبيت في ديوانه (١/ ٤٥).

وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ [١] أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] [٢].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ [٣]، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [٤] ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ

= النهار، والنهار يطلب الليل، «حثيثًا» أي: سريعًا.

[١] أي: سخرها الله ـ بأمره، فالشمس سخرها ـ فهي كل يوم تشرق من المشرق، وتغرب من المغرب، والقمر كذلك مسخر، من أول الشهر يخرج دقيقًا صغيرًا ضعيفًا، ثم لا يزال ينمو؛ حتى يكتمل نموه في منتصف الشهر، ثم يضعف... وهكذا، مثل الإنسان؛ يبدأ طفلًا، ثم شابًا، ثم شيخًا، ثم هَرِمًا، ثم يموت، وهكذا القمر.

[٢] هذه الآية فيه دليل على معرفة الله بآياته ومخلوقاته.

[٣] والرب هو المعبود، فمعنى قوله: «إن ربكم الله»؛ أي: معبودكم، وهو المستحق للعبادة، لأنه هو الذي ربى العباد بنعمه، خلقهم وأوجدهم فهو المعبود.

[٤] هذه أول آية في القرآن فيها الأمر بالتوحيد.

﴿الثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا [١] وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ(١).

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ [٢]:

[١] هذا هو النهي عن الشرك، ولا تجعلوا له أندادًا؛ أي أمثالًا ونُظراء تصرفون لهم العبادة.

[٢] وهذا من فضل الله على عباده أن شرع لهم أنواعًا عديدةً من العبادات يتقربون بها إليه، والمرء لا يعلم بأيها يدخل الجنة، ومما أمر الله به أمرَ إيجاب: إقام الصلاة، كما قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فهذا أمرُ إيجاب، فلا يجوز صرف الصلاة إلا لله، فإذا صلى لغير الله أشرك.

ومن أوامر الاستحباب: أمره ﷺ بالسواك، كما في قوله: « لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ »(٢)؛ فالسواك عبادة مندوبة، يتسوّك تعبدًا لله ﷻ، فلا تصرف تعبدًا لغير الله ﷻ.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٨٨) ونصه: «ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به غيره».

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٤٥، رقم ٦٨١٣)، ومسلم (١/ ٢٢٠، رقم ٢٥٢).

الإِسْلامِ [١]، وَالإِيمَانِ [٢]، وَالإِحْسَانِ [٣]، وَمِنْهُ [٤]:.....

النهي نوعان:

نهي تحريم: قوله: ولا تقربوا الزنا، فأنت تبتعد عن الزنا، خوفًا من الله وتعظيمًا له، وطمعًا في ثوابه وتكون عابد لله في هذا، كفّك نفسك عن الزنا.

ونهي تنزيه: كالنهي عن الحديث بعد الصلاة العشاء، هذا نهي ليس بالكراهة، إذا تركت الحديث بعد صلاة العشاء ممتثلًا لأمر النبي ﷺ فأنت تعبد الله لذلك، هذه أنواع العبادة الأوامر والنواهي. سواء أمر إيجاب أو أمر استحباب، والنهي نهي تحريم أو نهي تنزيه. وتفعل الأوامر وتترك النواهي طاعةً لله.

[١] **الإسلام:** هو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والتبرؤ من الشرك وأهله.

[٢] **الإيمان:** هو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، وكل هذه الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

[٣] **الإحسان:** هو أن تعبد الله على المراقبة، كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

[٤] يعني: من أنواع العبادات التي أمر الله بها.

الدُّعَاءُ [١]، وَالخُوْفُ [٢]، وَالرَّجَاءُ [٣]، وَالتَّوَكُّلُ [٤]، وَالرَّغْبَةُ[٥]، وَالرَّهْبَةُ [٦]، ....

[١] مثل قولك: يا أرحم الراحمين.

[٢] وهو خوف العبادة، وخوف السر. أما الخوف الطبيعي: كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق، وهذا لا يلام عليه العبد، قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ١٨] لكن إذا كان هذا الخوف سببًا لترك واجب أو فعل محرم كان حرامًا؛ لأن ما كان سببًا لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام، ودليل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. والخوف من الله تعالى منه ما يكون محمودًا، وما يكون غير محمودًا.

[٣] المراد به العبادة، كأن يرجو الميت أن يُدخِله الله الجنة وأن يُنجيه من النار، هذا هو رجاء العبادة. أما الرجاء العادي كأن يقول: «أرجوك أن تساعدني» فليس مراد المؤلف رحمه الله.

[٤] أي: الاعتماد على الله، فهو عز وجل مسبب الأسباب.

[٥] أي: الرغبة إلى الله ـ، وإلى ما عنده من الثواب.

[٦] أي: الخوف من الله لأ ومن عذابه.

وَالْخُشُوعُ [١]، وَالْخَشْيَةُ [٢]، وَالإِنَابَةُ [٣]، وَالاسْتِعَانَةُ [٤]، وَالاسْتِعَاذَةُ [٥]، وَالاسْتِغَاثَةُ [٦]، وَالذَّبْحُ [٧]، ....

[١] هو الطمأنينة، يقال: هذا محل خاشع، أي مطمئن، أي منخفض عن غيره، وأما الخشوع في استعمالات كثيرة فيأتي بمعنى السكون .

[٢] أي: خوف مع عِلم، وهو أدّق من الخوف.

[٣] وهو الرجوع إلى الله لأ، وترك المعاصي.

[٤] وهي طلب العون.

[٥] طلب الإعاذة -أي: الحماية- من مكروه سولء كان المستعاذ منه عدوا بشرا، أو شيطانا.

[٦] الدعاء من المكروب.

[٧] الذبح إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص، ويقع على وجوه:

الأول: أن يقع عبادة: بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله، على الوجه الذي شرعه الله ﷻ، وصرفه لغير الله شرك أكبر، وسيأتي دليله.

وَالنَّذْرُ [١]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا.

الثاني: أن يقع إكرامًا لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك: فهذا مأمور به إمَّا وجوبًا أو استحبابًا لقوله ﷺ: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » (١).

وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» (٢).

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به: ونحو ذلك فهذا من قسم المباح، فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١ - ٧٢] وقد يكون مطلوبًا أو منهيًّا عنه حسبما يكون وسيلة له.

[١] هو إلزام الإنسان نفسه ما لم يلزم به بأصل الشرع، كأن يقول الإنسان: «لله علي إن شفى الله مريضي أن أصوم له -أي : لله- خمسة أيام متتاليات»، فهذا نذر.

هذه أربعةَ عشرَ نوعًا من العبادة، ذكرها المؤلف رحمه الله على سبيل التمثيل للعبادات لا الحصر.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٤٠، رقم ٥٦٧٣)، ومسلم (١/ ٦٩، رقم ٤٨).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥/ ١٩٧٩، رقم ٤٨٥٨)، ومسلم (٢/ ١٠٤٢، رقم ١٤٢٧).

كُلُّهَا لله تَعَالَى [١]. والدَّلِيلُ [٢]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ الله؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ [٣].

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ [٤]﴾ [المؤمنون: ١١٧].

[١] أي كل هذه العبادات تصرف لله ﷻ وحده، فإذا صرف الدعاء أو الذبح أو النذر أو الاستعانة أو الاستغاثة لغير الله وقع في الشرك.

[٢] الدليل على أن العبادة حق الله وأنه من صرفها لغير الله وقع في الشرك والكفر.

[٣] أي: الشرك الأكبر، والكفر المخرج عن الملة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن المسلمين متفقون على ما علموه بالاضطرار من دين الإسلام، أن العبد لا يجوز له أن يعبد ولا يدعو ولا يستغيث ولا يتوكل إلا على الله، وأن من عبد ملكًا مقربًا، أو نبيًّا مرسلًا، أو دعاه، أو استغاث به فهو مشرك»(١).

[٤] فحَكَمَ الله ﷻ عليه بالكفر، فمن دعا غير الله فهو كافر؛ وكذلك من دعى غير الله فهو مشرك.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٧٢).

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»[١].

وقد قال الله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٣- ١٤]. فسمى الله تعالى الدعاء هنا شركًا.

[١] والحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ اَلْعِبَادَةِ»(١). فمخ الشيء لبُّه وخلاصته وما يقوم به، ومعناه: أن العبادة لا تقوم إلا بالدعاء، كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخ؛ لدلالته على الإقبال على الله عز وجل والإعراض عما سواه. وهذا الحديث يدل على منزلة الدعاء من بين أنواع العبادة، وهو حديث ضعيف، لكن معناه صحيح، والصحيح حديث: «الدُّعَاءَ هُوَ اَلْعِبَادَةُ»(٢).

(١) حديث ضعيف: أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٦، رقم ٣٣٧١) وقال : «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة»، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ١١٣)، والديلمي (٢/ ٢٢٤، رقم ٣٠٨٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠٠٣)، والسلسلة الضعيفة (١/ ٧٤).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧١، رقم ١٨٤١٥)، وابن أبي شيبة (٦/ ٢١، رقم ٢٩١٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٤٩، رقم ٧١٤)، وأبو داود (٢/ ٧٦، رقم ١٤٧٩)، والترمذي (٥/ ٢١١، رقم ٢٩٦٩) وقال : حسن صحيح. والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٠، رقم ١١٤٦٤)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨، رقم ٣٨٢٨)، وابن حبان (٣/ ١٧٢، رقم ٨٩٠)، والحاكم (١/ ٦٦٧، رقم ١٨٠٢)

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي [١] سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]

[١] هذا هو والدليل على أن الدعاء عبادة من الكتاب، حيث سمى الدعاء عبادة.

والدعاء المأمور به في الآية هو دعاء العبادة ودعاء المسألة.

فإذا كان دعاءَ عبادة: فإن استجابته هي الإثابة من الله ﷻ عليه.

وإذا كان دعاء مسألة: فاستجابته حصول مقصود الداعي والإثابة عليه أيضًا؛ لأن كل من دعا ولو كان دعاؤه بأمر دنيوي فإنه يثاب على دعائه، فلو قال: «اللهم ارزقني مركبًا هنيئًا، وزوجةً صالحة، وبيتًا واسعًا»، فهذه من أمور الدنيا مما يتمتع به في الدنيا، إذا سأل الله ﷻ فإن استجابة الله له تكون بإثابته عليه، وهذا محقق لكل داعٍ.

ورُوي عنه ﷺ أنه قال: « **إنه من لم يسأل الله غضب عليه**» (١).

وقال: صحيح الإسناد . والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٧، رقم ١١٠٥م) . والطبراني في الصغير (٢/ ٢٠٨، رقم ١٠٤١)، والقضاعي (١/ ٥١، رقم ٢٩) .

(١) حديث حسن: أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٦ ، رقم ٣٣٧٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٢٩، رقم ٦٥٨)، وحسنه الألباني في الصحيحة رقم(٢٦٥٤).

وَدَلِيلُ الْخُوْفِ [١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ [٢] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

الأمر الثاني: وهو حصول مطلوبه: فهذا قد يحصل وقد لا يحصل، بناءً على حكمة الله عَجَلَ في تحقيق مطلوب العبد أو ادخار ذلك له في الآخرة أو دفع شرٍ عنه نظير ما دعا أو مثلما دعا.

[١] المراد -كما سبق-: خوف العبادة. أما الخوف الطبيعي فلا يدخل فيه هذا؛ كالخوف من العدو أو سبع، أو خوف من حَيّة والعقارب وتأخذ السلاح، والخوف من العدو ويأخذ سلاحك أمامك أسباب ظاهرة هذا طبيعي، الخوف من البرد فتلبس ثياب الصوف، والخوف من الجوع فتأكل والعطش فتشرب هذا خوف طبيعي.

أما الخوف من العبادة كأن يخاف من صاحب القبر، يخاف منه أن يحرمه دخول الجنة، أو يخاف أن يُدخله النار، أو يخاف أن يسلّط عليه عدوًا في سره لا شيء ظاهرًا.

أما الخوف من العدو الذي أمامك ومعه السلاح فهذا خوف طبيعي وكذلك من الحيوانات.

[٢] قال الشوكاني رحمه الله: «فخافون»: فافعلوا ما آمركم به واتركوا ما أنهاكم عنه لأني الحقيق بالخوف مني والمراقبة لأمري ونهيي=

= لكون الخير والشر بيدي»[١].

وقد كان الأنبياء عليهم السلام أشد الخلق خوفًا من الله تعالى، قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ [هود: ٨٤]. وقال النبي ﷺ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٥ - ١٦]. وقد كان النبي ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء[٢]. أي: كصوت الإناء إذا غلا فيه الماء.

وكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف، قال ابن مسعود =

---

(١) فتح القدير (١/ ٤٠٠).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٩٠٤)، والنسائي (٣/ ١٣)، والترمذي في الشمائل (٣١٥)، وأحمد (٤/ ٢٥ و ٢٦)، وصححه ابن خزيمة (٦٦٥ و٧٥٣). وصححه الألباني رحمه الله في صحيح السنن (٨٣٩)، ومختصر الشمائل (٢٧٦)، وصحيح الترغيب والترهيب (٥٤٤)، والمرجل: القِدْر.

= رضي الله عنه : «كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلًا»[١]، ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد ربه، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه وحبه له، وكلما ازداد معرفةً ازداد حياءً وخوفًا وحبًا، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأَنَا أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «الخوف من الله، يستلزم العلم به، والعلم به يستلزم خشيته، وخشيته تستلزم طاعته»[٣].

والخوف منه عز وجل من أسباب صلاح القلب، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فما حفظت حدود الله ومحارمه، ووصل الواصلون إليه، بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث، فسد فسادًا لا يُرجى صلاحه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه»[٤].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة رقم (٣٤٥٣٢) ٧/ ١٠٤.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٦٣، رقم ٥٧٥٠)، ومسلم (٤/ ١٨٢٩، رقم ٢٣٥٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢١).

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ [١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][٢].

[١] الرجاء معناه: السعي إلى الشيء مع ميل النفس إلى حصوله، فالرجاء بهذا المعنى إذا قصد الإنسان به التقرب إلى الله - كان من مراضيه، فإذا كان من مراضيه ومحابه كان عبادة؛ لأن العبادة اسمٌ جامع لما يحبه الله ويرضاه، ومن ثم لا بد من تجريد عبادة الرجاء لله تبارك وتعالى.

[٢] من صرف العبادة لغير الله أشرك، كان يرجو الميت أن يُدخِله الجنة، ويرجوه أن لا يُحرِمه دخول الجنة، يرجوه بأن لا يُدخله النار بسرٍ لا بشريك. أما الرجاء العادي كان يرجوك أن تساعدني، أرجوك أن تقرضني، أرجوك أن تساعدني في إصلاح سيارتي. هذا رجاء عادي. والدليل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾؛ دليل الرجاء والشاهد قول: يرجو.

الفرق بين الرجاء والتمني: أن الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل. أما التمني فيكون مع الكسل. قال تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[الإسراء: ٥٧] وابتغاء الوسيلة =

= إليه: طلب القرب منه بالمحبة والعبودية بالطاعة وأنواع القربات(١).

فالواجب على العبد أن يحقق رجاءه فلا يعلقه إلا بالله تبارك وتعالى، لا يعلقه بقوته ولا بعمله ولا يعلقه بمخلوق. ومن المأثور عن علي رضي الله عنه أنه قال : «لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه»(٢).

اقتران الخوف والرجاء:

الخوف والرجاء يسيران بالمؤمن كجناحي الطائر، فإن الطائر له جناحان فإذا استقاما استقام طيرانه، وإذا سقط أحد الجناحين سقط وهو في عداد الموت، فكذلك المؤمن يسير قلبه بين الخوف والرجاء، فمن سار بالخوف بلا رجاء هلك، لأن الخوف إذا خاف ولم يرجُ صار يحمل على سوء الظن بالله واليأس والقُنوط من رَوح الله، وكذلك الرجاء وحده؛ إذا غَلّب جانب الرجاء صار يستصغر بالمعاصي، ولا يُبالي ولا =

(١) انظر مدارج السالكين (٢/ ٣٥-٣٦).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٧٥-٧٦).

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ [١]:

= يخاف، لكن المؤمن يخاف لكن خوفه لا يؤدي إلى القنوط ولا إلى اليأس لأنه يرجو، ويرجو ولكن رجاءً لا يؤدي به إلى الاستصغار بالمعاصي، لأنه يخاف.

فلا بُدّ من اقتران الخوف والرّجاء في قلب المؤمن؛ لئلا يفضي به الرّجاء إلى الأمن من مكر الله، أو يفضي به الخوف إلى القنوط من رحمة الله واليأس من روحه؛ ولهذا قرنت صفات الرّحمة بصفات العقوبة في مواضع كثيرة من القرآن؛ لتورث المؤمن قوّة في الخوف والرّجاء، واعتدالًا بين وعد الله ووعيده، قال ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠] وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

[١] التوكل هو الاعتماد على الله في حصول النتيجة بعد فعل الأسباب، ثم تعتمد بقلبك على حصول النتيجة، هذا خاصٌّ بالله، تفعل الأسباب التي أمرك الله به، تطلب الرزق، تبيع وتشتري، يكون في يدك مهنة، تحرث الأرض وتبذرها، تفعل الأسباب ثم توكلك على الله في حصول النتيجة، حصول الثمرة والفائدة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ [١] فَتَوَكَّلُوٓاْ [٢] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [٣]﴾ [المائدة: ٢٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ [٤]﴾ [الطلاق: ٣].

[١] «وَعَلَى الله»، أي: لا على غيره، وهذا يفيد الحصر؛ لأن من طرق القصر عند البلاغيين تقدم ما حقه التأخير، والأصل: «توكلوا على الله».

[٢] «فَتَوَكَّلُوا» هذا أمر يدل على وجوب التوكل، أي: اعتمدوا على الله جل وعلا، وفوضوا أموركم إليه. فدلت الآية على وجوب التوكل، وأنه من العبادات.

[٣] «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»، أي: إن كنتم مؤمنين بالله جل وعلا فعليه توكلوا.

قال ابن القيم رحمه الله: «فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه، فمن لا توكل له لا إيمان له»(١).

[٤] ومعنى «حَسْبُهُۥٓ»: كافيه؛ ومن كان الله كافيه فلا مطمع لأحد فيه.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٩).

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ [١]، وَالرَّهْبَةِ [٢]، وَالْخُشُوعِ [٣]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا [٤]......

[١] الرغبة: ومعناها السؤال والتضرع والابتهال مع محبة الوصول إلى الشيء المحبوب، فإذا كان يدعو وعنده قوة لحصول مطلوبه فهذه رغبة.

[٢] الرهبة: والرهبة بمعنى الخوف المثمر للهرب من المخوف. فهي خوف مقرون بعمل. قال الراغب: الرَّهْبة والرَّهْب: مخافة مع تحرز واضطراب[1].

[٣] الخشوع: وهو التذلل والتطامن، وهو بمعنى الخضوع، إلا أن الخضوع يغلب أن يكون في البدن، والخشوع في القلب أو البصر أو الصوت. قال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢] وقال ﷻ: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] وقال ﷻ: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣] وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

[٤] رغبًا يعني رجاءً فيما عند الله. قال ابن القيم رحمه الله: «والفرق بين =

---

(١) المفردات في غريب القرآن: (ص٢٠٤).



وَرَهَبًا [١] وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [٢]﴾ [الأنبياء: ٩٠][٣].

= الرغبة والرجاء: أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه، والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف»(١).

[١] يعني: خوفًا منه.

[٢] وكانوا لنا خاشعين خاضعين.

[٣] هذه الآية دلت على ثلاثة أنواع من العبادة كما تبين ذكره، فالرغَب والرهَب والخشوع خاص بالله، لا يرغب إنسانٌ إلا لله، ولا يرهب إلا منه، والمراد بالرغَب والرهَب هنا العبادة. والرغبة والرهبة لا تقوم إلا على ساق الصبر، فرهبته تحمله على الصبر، ورغبته تقوده إلى الشكر، وعبادتا الرغبة والرهبة تنحسران عن العبد بقدر ذنوبه، وتزيدان بزيادة إيمانه، والعبد يناله التوفيق بإذن الله بقدر تلك العبادة.

قال ابن القيم رحمه الله: «إذا أراد بعبده خيرًا، وفَّقه لاستفراغ وسعه، وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق»(٢).

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٥).

(٢) شفاء العليل ص ٢٢٦.

وَدَلِيلُ الْخُشْيَةِ [١]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ [٢]..........

[١] الخشية بمعنى الخوف، لكن الخشية أخص من الخوف؛ لأن الخشية مقرونة بمعرفة الله -تعالى-، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] فالخشية خوف مقرون بمعرفة الله، ولهذا قال النبي ﷺ: «**أما والله، إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**»[١].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي ﷺ: «الخوف والخشية والخشوع والإخبات والوجل معانيها متقاربة، فالخوف يمنع العبد عن محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيد أن خوفه مقرون بمعرفة الله. وأما الخشوع والإخبات والوجل فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله، فيخضع العبد لله ويخبت إلى ربه منيبًا إليه بقلبه ويحدث له الوجل. وأما الخشوع فهو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهره وباطنه فهذا خشوع خاص. وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته فيستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة»[٢].

[٢] أي: لا تخشوا الناسَ خشية العبادة.

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه مسلم (٢/ ٧٧٩، رقم ١١٠٨).

(٢) فوائد قرآنية: (ص٩٦).

وَٱخْشَوْنِي ﴾ [البقرة: ١٥٠][١].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ [٢]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ [٣] وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ...... ﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ [٤]:..................................

[١] الشاهد في الآية أن الإنسان إذا خاف غير الله ـ خوف تعبُّدٍ وتأله مستقر بالقلب يحمل على الطاعة والبعد عن المعصية، فإن هذا الخوف من أنواع الشرك؛ لأن الله عز وجل جعله من مقتضيات الإيمان، فمن صرف هذا لغير الله -تعالى- فليس بمؤمن.

[٢] الإنابة الرجوع إلى الله بالتوبة والإخلاص وأسلموا له، فالإنابة خاصةٌ بالله، ما يُنيب الإنسان إلى غير الله، ينيب إلى المخلوق، ويتوب إلى المخلوق، يطلب منه أن يغفر له ذنوبه، كما يفعل النصارى؛ فالنصارى يتوبون إلى قِسيس فيغفر ذنوبهم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ويعطيهم صكَّ الغفران إلى الجنة، وكذلك بعض الشيعة يرجعون إلى شيوخهم فيغفرون لهم ذنوبهم، وهذا شرك، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ١٣٥].

[٣] يعني: ارجعوا إليه تعالى.

[٤] استدل المؤلف / على عبودية الاستعانة بآية وحديث.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ [١] وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [٢]﴾ [الفاتحة:٥][٣].

[١] «إياك نعبد»؛ قدّم الضمير على الفعل لإفادة الاختصاص، والمعنى: نعبدك يا الله، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك ولا نستعين بغيرك، هو معنى «لا إله إلا الله»، وهذا مفهوم من تقديم الظرف، لأنه يريد بالاختصاص، لو قلت: «نعبدك» أو قلت: «نستعينك»، فقدت ميزة الاختصاص، ولكن لـمّا قدّم الضمير «إياك» نعبد؛ صار المعنى: «إياك نعبدك ولا نعبد غيرك، وإياك نستعين ولا نستعين بغيرك».

[٢] فعبادة الاستعانة حقّ الله ـ، وكما أن من عبد غير الله وقع في الشرك، كذلك الاستعانة، من استعان بغير الله فقد أشرك.

[٣] يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وتقديم العبادة على الاستعانة من باب تقديم العام على الخاص. واهتمامًا بتقديم حقه تعالى على حق عبده...وذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي»[١].

(١) تفسير ابن سعدي: (١/ ٢٨، ٢٩).

وَفِي الْحَدِيثِ: « .... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله [١]»(١).

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وَقَوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١][٢].

[١] المراد بالاستعانة هنا استعانة العبادة أيضًا. أما الاستعانة في الأمور العادية فلا بأس، كأن تقول يا فلان: أعنِّي في إصلاح سيارتي، حي حاضر قادر؛ أعنني في إصلاح مزرعتي، أعنِّي في قضاء دَيني، لا بأس ما دام المستعان به حيًّا حاضرًا قادرًا على الإعانة، وقد سبق تفصيل الكلام على هذه المسألة.

[٢] وأما الاستعاذة بحي حاضر فيما يقدر عليه فلا بأس، بأن تقول: يا فلان أعذني من شر أولادك، أعذني من شر لسان زوجتك، إذا كانت سليطة اللسان، لأنه حي حاضر قادر، ولكن يستعيذ بميّت أو بغائب أو بحي حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣، رقم ٢٦٦٩)، والترمذي (٤/ ٦٦٧، رقم ٢٥١٦) وقال : حسن صحيح . والحاكم (٣/ ٦٢٣ رقم ٦٣٠٢) وقال : عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس . والضياء (١٠/ ٢٥، رقم ١٥)، وأبو يعلى (٤/ ٤٣٠، رقم ٢٥٥٦) .

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ [١]:..............................

قال في فتح المجيد: «وقد أجمع العلماء،على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله» [(١)]. وقال شيخ الإسلام : «وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق» [(٢)].

[١] الاستغاثة هي: دعاء من المكروب الذي وقع في كَرْب؛ قال ابن القيم رحمه الله: «الاستغاثة لا تكون إلا بعد الذعر» [(٣)]. وهي عبادة يتعبد بها لله، فيما لا يقدر عليه إلا الله. أما الاستغاثة بحيٍّ حاضر قادر فلا بأس به، كأن يستغيث الغريق بسبّاح، فهذا لا بأس به، لكن يستغيث بميّت لا يجوز، أو بحي غائب، أو بحيٍّ حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك.

قال صاحب تيسير العزيز الحميد: «المخلوق يطلب منه ما يقدر عليه ويستعاذ به فيه بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستعاذ فيه إلا بالله» [(٤)].

والفرق بين الاستغاثة والاستعاذة: أن الاستعاذة تطلب منه أن=

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٨٨ .

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٣٣٦) .

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٦٠) .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٢١١ .

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ [١] فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] [٢].

= يعصمك وأن يمنعك وأن يحصنك، والاستغاثة تطلب منه أن يزيل ما فيك من شدة، وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء. والاستغاثة كالاستعاذة تتضمن كمال الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى واعتقاد كفايته.

[١] أي: تستجيرون ربكم وتطلبون منه الغوث فاستجاب لكم.

[٢] هذه الآية نزلت في غزوة بدر الكبرى. وكان المشركون أكثر من المسلمين ثلاث مرات، فالمسلمون بقيادة النبي ﷺ توجهوا إلى الله بأن يمدهم بالنصر وأن يخلصهم من هذا الموقف الذي هم فيه. وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمئة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة- وفي روايات أخرى: أنهم بين الألف والتسعمائة - فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: «**اللَّهُمَّ أَنجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**»، قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده ثم التزمه من ورائه، ثم قال: «يانبي الله، كفاك مناشدتك =

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي [١] وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٢] (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١ – ١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ [٣] اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله»(١).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ[٤]:

= ربك فإنه سينجز لك ما وعدك». فأنزل الله الآية (٢).

[١] يعني وذبحي.

[٢] هذا هو الشاهد (لله)، وكذلك قوله ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي: اذبح.

[٣] اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، لأنه مشرك.

[٤] النذر هو أن ينذر عبادة، لم يُجبها الله، يجبها لنفسه، وقد تكون مطلقة وقد تكون مقيّدة.

والمطلقة: كأن ينذر أن يصلي عشرين ركعة، فيجب عليه أن =

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٣/ ١٥٦٧، رقم ١٩٧٨).

(٢) صحيح مسلم – (ج ٥/ ص ١٥٦، رقم ٤٦٨٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ[١] وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

= يوفي بنذره، أو ينذر بأن يتصدّق بألف ريال على الفقراء؛ يجب عليه أن ينذر ويتصدق إذا كان عبادة. أما إذا كان معصية فلا يجوز له أن ينذر.

وأحيانًا يكون النذر مقيّدًا، كأن يقول: «إن شفى الله مريضي أو نجح ولدي في الامتحان لأتصدّقن بألف ريال». فإذا نجح ولده أو شفي مريضه فيجب عليه أن يتصدق، أو قال: «إن نجح ولدي أو شفي مريضي لأصلّين لله عشرين ركعة، أو لأذبحن خروفًا وأتصدّق به على الفقراء». فيجب عليه أن يتصدق.

هذا النذر عبادة، وإذا صرف لغير الله وقع في الشرك، كأن ينذر أن يذبح لصاحب القبر، أو ينذر بأن يصلي لشخص.

[١] النذر في الأصل أنه مكروه، لأن الإنسان إذا نذر فإنه يُوجب على نفسه عبادة لم يُوجبها الله عليه، وقد لا يستطيعها، ولذلك نَهَى ﷺ عَنْ النَّذْرِ وَقَالَ: «**لاَ تَنْذُرُوا؛ فَإِنَّ النَّذْرَ لاَ يُغْنِى مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»[1].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٢٤٦٣، رقم ٦٣١٦)، ومسلم (٣/ ١٢٦٢، رقم ١٦٤٠).

....

لكن إذا نذر وكان عنده نذر عبادة ثم وفى به فهذا يُمدح عليه، لأن الله تعالى مدح الأبرار فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

الأَصْلُ الثَّانِي: معرفة الإسلام .

الْأَصْـلُ الثَّـانِي [١] مَعْرِفَـةُ دِيـنِ الإِسْـلامِ بِالأَدِلَّـةِ: وَهُـوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ [٢]، وَالانْقِيَـادُ لَـهُ بِالطَّاعَـةِ، وَالْـبَرَاءَةُ مِـنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ [٣]، وَالإِيمَانُ [٤]،.....

[١] بعد معرفة العبد لربه تبارك وتعالى، يأتي الأصل الثاني وهو معرفة الإسلام، بآياته ومخلوقاته، فيجب عليك أن تعرف دين الإسلام بالأدلة، وقد عرف المؤلف رحمه الله الإسلام بأنه: «**الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله**».

[٢] استسلم يعني: انقاد وذلّ وخضع وأطاع، قالوا: «استسلم الجمل لصاحبه»؛ يعني انقاد، وقاده بزمامه، والمستسلم هو المنقاد [(١)]. وأما الذي لا ينقاد فهو الذي يسمى مستكبرًا، فالمسلم مستسلم لله، منقاد لشرعه ودينه، والكافر مستنكفٌ، استكبر وأبى أن يعود إلى الله، فصار مستكبرًا.

[٣] المرتبة الأولى: مرتبة الإسلام، وهي: الدنيا.

[٤] المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان، وهي أعلى منها.

---

(١) انظر لسان العرب ج١٢ ص٢٩٣، والمعجم الوسيط ج١ ص٤٤٦.

وَالإِحْسَانُ [١]. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ [٢] خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله [٣]، وَإِقَامُ الصَّلاةِ [٤]،

---

[١] المرتبة الثالثة: مرتبة الإحسان، وهي أعلى منهما.

ثم شرع المصنف رحمه الله في بيان أركان كل مرتبة من الثلاث.

[٢] أركان الإسلام -كما ذكرها المصنف رحمه الله- خمسة، وهي الأركان التي يقوم عليها ويستقيم بها، وهناك شرائع أخرى مثل: بر الوالدين، وصلة الأرحام، وأداء الأمانات، وغير ذلك من الواجبات، وكذلك المحرّمات يتركها المسلم، غير هذه الخمس، لكن هذه الخمس هي العُمد التي لا يقوم عليها، ولا يستقيم إلا بها.

[٣] **الركن الأول:** الشهادتان: «**شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا عبده ورسوله**»، وهذا الركن هو أصل الدين وأساس الملة، وأعظم الأركان. وهما مفتاح دار السلام، فبالشهادتين يدخل المسلم في الإسلام، وعليهما يموت المسلم.

[٤] **الركن الثاني:** « إقامة الصلاة »، ولم يقل (الصلاة)، ولم يقل (فعل الصلاة)، لأن إقامتها هي أن تعطيها حقها، وليس كل =

وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ [١]، وَصَوْمُ رَمَضَانَ [٢]، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَام [٣].

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ[٤]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ [٥] ....

= من صلى مُقيمًا للصلاة، لا، بل يُصلي بعض الناس وهو لا يقيمها، فالمصلي كثير والمقيمون للصلاة قليل؛ وكما أن الركب من الحجاج كثير يقارب من مليون إلى ثلاثة ملايين، لكن من يؤدي الحج على الوجه الصحيح قليل، فأنت ترى المساجد تمتلئ من المصلين، ولكن كم منهم يقيم الصلاة؟!! بأن يصلي على الإخلاص، وعلى رغبة ورهبة، ويؤديها بشروطها، وحدودها وقيامها، وركوعها وحضور القلب فيها، ومتابعة الإمام فيها، والطمأنينة فيها، وأدائها في وقتها؟؟ هذا قليل.

[١] الركن الثالث: إيتاء الزكاة.

[٢] الركن الرابع: صوم رمضان.

[٣] الركن الخامس: حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا.

[٤] هذا دليل شهادة أن لا إله إلا الله.

[٥] قرنَ الله شهادةَ العلماء بشهادة الملائكة على أعظم مشهود=

﴿وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ[١] الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ[٢]، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنْ الإِثْبَاتِ (لا [٣] إله [٤]) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، (إِلا [٥] اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ[٦].

= وأجلّ مشهود به، وهو الشهادة لله بالوحدانية.

[١] يعني لا معبود حقٌّ إلا الله.

[٢] هذا معنى كلمة التوحيد، (لا إله إلا الله) معناها: لا معبود حق إلا الله.

[٣] لا: نافية للجنس من أخوات إن تنصب الاسم.

[٤] إله: اسم لا النافية للجنس، ومعنى الإله: المعبود، والخبر محذوف وتقديره (حقٌّ)، أي: لا إله حق. وعبارة (لا إله): هذا هو الكفر بالطاغوت، وبراءة من كل معبود سواه، ومن كل عبادة.

[٥] إلا: أداة استثناء، هذا هو الكفر بالطاغوت، وعبارة (إلا الله): هذا الإيمان بالله، ولاء؛ ولاءٌ لله ولرسوله وللمؤمنين.

[٦] لا إله إلا الله: كلمة التوحيد، وهي كفرٌ وإيمانٌ، كفرٌ بالطاغوت =

وَتَفْسِيرُهَا[١]: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ [٢] ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى [٣] فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا [٤] كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ [٥] أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا [٦] وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ [٧] فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا........

= في قولك: «لا إله»، وإيمانٌ بالله، في قولك: «إله الله»، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

[١] ذكر المؤلف رحمه الله في الآيتين التاليتين تفسير كلمة التوحيد.

[٢] هو معنى «لا إله إلا الله»، وهو نفيٌ للشرك.

[٣] هذا الإيمان بالله.

[٤] أي: إبراهيم عليه السلام.

[٥] أي: عدل بيننا وبينكم، وما هي هذه الكلمة؟ إنها كلمة التوحيد، التي بينها عز وجل فيما بعد.

[٦] هذا معنى «لا إله إلا الله».

[٧] فإن تقبلوا فالحمد لله.

مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ[١] عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ[٢] حَرِيصٌ عَلَيْكُم[٣] بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ[٤].

---

[١] هو محمد ﷺ.

[٢] يعني: يشّق عليه ما يشّق عليكم.

[٣] «حريص عليكم»، أي: على هدايتكم، ويسعى لكم في النفع بالدنيا والآخرة، والدليل على أنه خاتم الأنبياء قوله ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

[٤] فسر المؤلف معناها بأنها طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. أما الذي ادعى ويشهد أن محمدًا رسول الله وهو لا يصدق أخباره ولا يُطيع أوامره ولا يأتي بنواهيه فهذا كاذب، ولا ينفعه قوله: «أشهد أن محمدًا رسول الله».

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى [١]: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ [٢] حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ [٣] عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ [٤] حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

---

[١] هذه الآية فيها دليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد.

[٢] هذا تفسير التوحيد؛ أن يخلصوا العبادة لله، فيكون لله حنيفًا، مائلًا عن الشرك إلى التوحيد.

[٣] يعني: فُرِضَ، هذا على فرضية الصيام.

[٤] و«لله» تفيد الوجوب، فمعناها: أوجب الله على الناس حج البيت.

وهذه أركان الإسلام الخمس وهذه أدلتها.

* * * * *

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ [١]:

وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً [٢]،..........................

[١] هذه هي المرتبة الثانية من مراتب الدين بعد مرتبة الإسلام.
والإيمان هو: تصديقٌ وإقرارٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بالقلوب، وبالجوارح، فهو يشمل أربعة أشياء:

التصديق بالقلب، وهذا الإقرار من الإيمان.

الإقرار باللسان، وهو التلفظ به.

أعمال القلوب، من الخشية والخوف والرغبة والرهبة، والمحبة، والرجاء.

أعمال الجوارح، من القلب، مثل الصلاة والصيام، والزكاة والحج.

إذًا الإيمان يشمل اعتقاد القلب، ويشمل الإقرار باللسان، ويشمل أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، كلٌّ من الإيمان. والإيمانُ -كما بينه ﷺ في الحديث- هو بضع وستون شعبة.

[٢] **البضع**: من ثلاثة إلى تسع، يعني: فوق السبعين، من ثلاثة وسبعين إلى تسع وسبعين؛ وهذا العدد مستفاد من حديث أبي هريرة ﷺ، رواه البخاري وقال ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وستون** =

فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَـةُ الأَذَى عَـنِ الطَّرِيـقِ[١]، وَالْـحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ [(١)]. وَأَرْكَانُـهُ سِـتَّةٌ: كـما فى الحـديث «أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ[٢]، وَمَلائِكَتِهِ [٣]، وَكُتُبِهِ[٤]،

= شعبة» [(٢)]، ورواية مسلم: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة».

[١] بيّن ﷺ الأعلى والأدنى من شعب الإيمان، فهو شعبٌ متفاوتة؛ بعضها يقرب من بعض الشعب؛ فمثلًا الصلاة شعبة، والزكاة شعبة، والصوم شعبة، والحج شعبة، وبر الوالدين شعبة، وصلة الأرحام شعبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعبة، «والحياء شعبة من الإيمان»، وكلها من شُعَب الإيمان، شعبةٌ قلبيةٌ من أعمال القلوب، الحياء خُلقٌ داخليٌّ، يحمد الإنسان على ما فعل ما يُزينه ويُجمّله، ويدني عن فعل ما يُشينه، هذا هو الحياء.

[٢] المرتبة الأولى: الإيمان بالله.

[٣] المرتبة الثانية: الإيمان بالملائكة.

[٤] المرتبة الثالثة: الإيمان بالكتب المنزلة.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٦٣، رقم ٣٥).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١/ ١٢، رقم ٩).

وَرُسُلِهِ [١]، وَالْيَوْمِ الآخِرِ [٢]، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ[٣]»[٤] (١).

[١] المرتبة الرابعة: الإيمان بالرسل.

[٢] المرتبة الخامسة: الإيمان باليوم الآخر.

[٣] المرتبة السادسة: الإيمان بالقدر.

[٤] وهذا البيان لأركان الإسلام (الإيمان) مأخوذ من حديث جبريل عليه السلام، لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »، وهي ستة أركان.

الفرق بين أركان الإسلام وأركان الإيمان:

أركان الإسلام: الشهادتان، الصلاة والزكاة، والصوم، والحج؛ هذه هي أركان الإسلام، وهي أركانٌ ظاهرة.

ولكن أركان الإيمان أعمالٌ باطنة؛ فلا يطلع عليها إلا الله، فالإيمان بالله داخلي، والإيمان بالملائكة داخلي، والإيمان بالكتب داخلي، والإيمان باليوم الآخر داخلي، والإيمان بالقدر داخلي، =

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٣٦، رقم ٨).

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة: ١٧٧].[١]

ودليل القدر[٢]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩].

= ومن أتى بأركان الإيمان الباطنة فهو مؤمن؛ ومن أتى بأركان الإسلام الظاهرة ولم يأتِ بأركان الإيمان الباطنة فهو منافق، وفي الدرك الأسفل من النار.

[١] هذه الآية فيها ذكر خمسة أركان من أركان الإيمان الستة: **الأول**: ولكن البر من آمن بالله. **والثاني**: اليوم الآخر. **والثالث**: الملائكة. **والرابع**: الكتب. **والخامس**: النبيين. فهذه خمسة أركان.

[٢] هذا هو الركن السادس.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ[١]:

أركانه: وله رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ كما في الحديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ[٢]» (١).

[١] هذه هي المرتبة الثالثة من مراتب الدين، وهي الإحسان، والإحسان ركنٌ واحدٌ، بينما الإسلام خمسة أركان، والإيمان ستة أركان.

[٢] هذا هو تعريف الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا هو المراقبة، تعبد الله على المراقبة، وأن تصلي وأنت تراقب الله، وتصوم وأنت تراقب الله، وتحج وأنت تراقب الله ﷻ. وهذا هو كمال الإيمان. وهذا الركن له مرتبتان: المرتبة الأولى أكبر من المرتبة الثانية.

المرتبة الأولى: هو أن تعبد الله كأنك ترى الله أمامك، فإن ضعفت عن هذه المرتبة تنتقل إلى.

المرتبة الثانية: إن لم تكن تراه فإنه يراك، فتعبد الله لا على أنه يراك.

فالإنسان الذي يعبد الله عن المشاهدة، هل يُمكن أن يُرائي في=

(١) سيأتي تخريجه (ص ٨٢)

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا [١] وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ [٢] ﴾ [النحل: ١٢٨].

=عمله؟! بالطبع لا يمكن أن يُرائي، فمَن يعبدِ الله على المشاهدة حينما يصلي، أو يتصدق، أو يصوم، تجده مخلصًا لله عز وجل، ولا يلتفت قلبه على الناس، يعبد الله عن مشاهدة أي تعبد الله كأنك تراه.

[١] هذه المعية معية نصر وتأييد، وتوفيق وتسديد؛ والمعية نوعان: معية عامة، ومعية خاصة.

الأولى: المعية العامة: للمؤمن والكافر، فالله مع المؤمن والكافر باطلاعه وإحاطته ونفوذ قدرته ومشيئته، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤].

والثاني: معية خاصة: بالمؤمن، بالمؤمنين والأنبياء، قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾، فهو مع المتقين ومع المحسنين بنصره وتأييده، وتوفيقه وتسديده وهو فوق العرش، قال الله تعالى لموسى وهارون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]. وقال عن نبيه ﷺ لما كان في غار حراء، مع أبي بكر رضي الله عنه ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

[٢] الشاهد «وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ».

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ[١] حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[يونس: ٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ[٢]: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ[٣]..

[١] الشاهد قوله تعالى: «ٱلَّذِي يَرَىٰكَ».

[٢] هذا الحديث الطويل -وهو حديث جبرائيل المشهور- رواه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مطولًا، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، ورواه البخاري مختصرًا عن أبي هريرة رضي الله عنه [(١)]. في هذا الحديث بيانُ مراتب الإسلام الثلاثة، «مرتبة الإسلام، مرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان»، ذكر المؤلف أدلتها من القرآن، وذكر أدلتها من السنة. وهذا الحديث حديث عظيم، تلقّاه العلماء بالقبول وشرحوه، ولو شُرح مفصلًا، لأتي شرحه في مجلداتٍ ضخامٍ، لما فيه من العلم الغزير.

[٣] أي: تعجّبنا كيف جاءَ رجلٌ غريبٌ ما يعرفه منّا أحدٌ، ورغم =

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١/ ٢٧، رقم ٥٠).

فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ[١]، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: « أَنْ تَشْهَدَ أَنْ

= ذلك فهو شديد بياض الثياب وشديد سواد الشعر، بينما المسافر عندهم في ذلك الزمن -حيث المواصلات صعبة- يأتي رثَّ الثياب، منتفش الشعر، وثيابه متسخة، لأن المواصلات عندهم هي الإبل، فليست كأسفارنا الآن على الطائرات والباخرة، وهذا يستلزم أن تتسخ ثيابه، وينتفش شعره، نتيجة مسافة السفر ومدته، وما في رحلة السفر من تراب وغبار، ولكن هذا رجلٌ مسافرٌ غريبٌ، وليس من أهل البلد، ولا عليه أثر السفر، -وهذا الرجل هو جبريل عليه السلام؛ جاء في صورة رجل- لكن الصحابة ي كانوا لا يعرفونه في ذلك الوقت.

[١] جلس إلى النبي ﷺ جلسة متأدب، فأسند ركبتيه إلى ركبة النبي ﷺ، وكفاه في كف النبي ﷺ، يسأل، وجاء في بعض الألفاظ عن النبي ﷺ قال: «سلوني فهابوا(١)»، فأرسله الله جبريل يسأله، حتى يستفيد الصحابة(٢).

(١) الهيبة: من هابَ الشَّيءَ يَهابُه إذا خَافَهُ وإذا وَقَّرَهُ وعَظَّمَه.

(٢) حديث مرسل بهذا اللفظ: تعظيم قدر الصلاة (١ / ٣٨٩)، والإيمان لابن منده (١/ ١٥٣)، وفتح الباري (١/ ١١٧).

لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا»[١]. قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ[٢]. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[٣]. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ[٤]. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ[٥]. قَالَ: (مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»[٦].

[١] ذكر ﷺ هنا الأركان الخمسة السابقة ذكرها.

[٢] لما حكم على كلام النبي ﷺ بالصدق، وكأنه يصححه تعجب الصحابة ي، لأن السائل عادة لا يعرف، وهذا يسأل وهو يعرف الإجابة، ولهذا يُصدِّقه.

[٣] ذكر ﷺ هنا مراتب الإيمان الست السابق ذكرها.

[٤] أخبره النبي ﷺ عن الإحسان السابق ذكره.

[٥] أي: متى تأتي الساعة؟

[٦] أي:علمي وعلمك واحد، أنا لست أعلم منك، كما أنك لا=

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا [١]. قَالَ [٢]: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا [٣]،.

= تعلم فأنا لا أعلم، ولا يعلمها إلا الله، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]. والساعة لا يعلمها إلا الله تعالى.

[١] أي: أخبرني عن العلامات التي تدل على قربها.

[٢] ذكر النبي ﷺ علامتين فقط من علامات اقتراب الساعة، وقد صح عنه ﷺ في غير هذا الحديث كثير من العلامات [(١)].

[٣] وفي بعض الرواية «ربها»، والأمة: العبدة الرقيقة، تلد سيدتها، كيف تقول تلد سيدتها؟ قال العلماء معنى ذلك: أن الملوك يتَسرَّون الإماء، يعني تكثر السُراري فيتسرّها الملوك، فتلد هذه الأمةُ سيدتها، لأنها بنت الملك، فتكون سيدةَ على أمِّها، أو على غيرها، فتلد الأمةُ الرقيقةُ سيدتها، وفي رواية أخرى «تلد الأمة ربها» يعني تكون الأمة تلد ولد ابن الملك، ويكون ملِكًا مثل أبيه، فيكون سيدًا على أمه وعلى غيره، وهذا في آخر الزمان.

---

(١) سيأتي ذكر بعض هذه العلامات في الشرح.

وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ [١] الْعُرَاةَ [١] الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ [٣] يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ[٤]».

[١] يعني: أهل البوادي، فهم لا يلبسون النعال في الغالب.

[٢] أي ثيابهم مشققة، ليسوا مثل أهل المدن.

[٣] يعني يرعون الغنم، يتحضّرون ويتطاولون في البنيان، بعد أن كانوا لا نعال عليهم ولا ثياب، ويرعون الشياه.

[٤] أي: سيسكن هؤلاء الحفاة العراة الرعاة المذكورون فيما سبق المدن، ويبنون العمارات والبنايات، ويتطاولون في البنيان، وهذا من أشراط الساعة.

من أشراط الساعة:

وهناك أشراط كثيرة، منها:

- إماتة الصلاة[(١)].
- عقوق الوالدين وقطيعة الرحم[(٢)].

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه مسلم (١/ ٤٤٨، رقم ٦٤٨).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ١٤٧، رقم ٢٥٣). والبزار (٦/ ٤٠٧، رقم ٢٤٣٢)، قال

- ظهور المعازف والملهيات [١].

وغيرها الكثير لا حصر لها، هذه أشراط الساعة الصغرى.

وهناك أشراط الساعة الكبرى، تعقب بعد الساعة مباشرة، منها:

- خروج المهدي، وهو رجل من سلالة النبي ﷺ، اسمه كاسم النبي ﷺ محمد بن عبدالله المهدي، ثم يخرج في زمنه الدجال، رجلٌ يدعي الصلاة أولًا ثم يدعي النبوة أولًا ثم يدعي الربوبية، وهو أعور عين اليمنى، ثم ينزل عيسى ابن مريم ثم يقتله في زمان الدجال، ثم يخرج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى هذه أربعة متوالية.

- ثم تتوالى أشراط الساعة، ومنها الدخان الذي يملأ ما بين السماء والأرض، يصيب المؤمن كهيئة الزكام، والكافر يصيبه =

الهيثمي (٧/ ٣٢٧) : فيه عبد الرحمن بن مغراء وثقه أبو زرعة وجماعة وضعفه ابن المديني وبقية رجاله رجال الصحيح .

(١) لقوله ﷺ: «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»، أخرجه البخاري (٥/ ٢١٢٣، رقم ٥٢٦٨).

= ألم شديد [1].

- ومنها نزع القرآن من المصاحف ومن الصدور إذا ترك المسلمون العمل به [2].
- ومنها هدم الكعبة في آخر الزمان [3].
- ومن آخرها طلوع الشمس من مغربها [4].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤ / ١٧٩١، رقم ٤٤٩٦)، ومسلم (٨ / ١٣٠، رقم ٧٢٤٤)

(٢) لقوله ﷺ: **«يَدْرُسُ الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقوله»**، أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٤٤ رقم ٤٠٤٩) قال البوصيرى (٤/ ٩٤) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . والحاكم (٤/ ٥٢٠ رقم ٨٤٦٠) وقال : صحيح على شرط مسلم . والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٣٥٦، رقم ٢٠٢٨) .

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه ابن أبى شيبة (٧/ ٤٦٢، رقم ٣٧٢٤٤) وأحمد (٢/ ٢٩١، رقم ٧٨٩٧) قال الهيثمى (٣/ ٢٩٨) : رجاله ثقات . والحاكم (٤/ ٤٩٩، رقم ٨٣٩٥) وقال : صحيح على شرط الشيخين . وابن حبان (١٥/ ٢٣٩، رقم ٦٨٢٧) والبغوى فى الجعديات (١/ ٤١٢، رقم ٢٨١٠) .

(٤) **حديث صحيح**: أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٢٥، رقم ٢٩٠١).

- ومنها الدابة التي تسم في وجوههم، فالمؤمن تَسِمُ له سمةً بيضاء، والكافر تسم له سمة سوداء تسود وجهه [١].

- وآخر أشراط الساعة العشر هي نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، إلى أرض فلسطين، تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا [٢]، ثم تأتي ريح طيبة تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، فلا يبقى مؤمن ولا مؤمنة في الأرض إلا قبضته؛ فيبقى الكفرة وعليهم تقوم الساعة [٣]. ولا يخلى من العالم إذا خلى هذا التوحيد والإيمان.

وهذه أشراط الساعة وذكر شرطين من أشراط الساعة. ثم مضى هذا الرجل الذي يسأل، فلبثنا مليّن وفي لفظ: **«قال النبي ﷺ فردوه»**، فذهبوا فلم يجدوا أحدًا، وجبريل طار؛ مَلك، قال ﷺ: **«يا عمر: أتدرون من السائل؟»** قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **«هذا جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم»**.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٦٠، رقم ٢٩٤١).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٩٠، رقم ٦١٥٧)، ومسلم (٤/ ٢١٩٥، رقم ٢٨٦١).

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٥٠، رقم ٢٩٣٧).

قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم»[١].

....

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٣٦، رقم ٨).

الأصل الثالث: معرفة الرسول ﷺ[١]

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَهُوَ مُحَمَّدُ [٢] بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-[٣].

[١] هذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم معرفتها، والعمل بها، والدعوة إليها والصبر على الأذى الذي يناله في سبيل ذلك، والإنسان يُسأل في القبر عن معرفة نبيِّنا محمد ﷺ.

[٢] وللرسول ﷺ له أسماء كثيرة، منها: «**محمد، وأحمد، والماحي الذي يمحوا الله بالشرك، والحاشر الذي يحشر، والعاقب الذي ليس بعده نبي**»(١).

[٣] هذا نسبه -عليه الصلاة والسلام-. وقد ذكر ابن الصابوني مؤرخ النسب عن نسبه -عليه الصلاة والسلام-، وذكره إلى معد إلى عدنان، هذا متفق عليه، هناك أجداد مُختلفٌ فيها، خمسة أو ستة أجداد وهم بين عدنان وإسماعيل مع اتفاقهم =

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٤/ ١٨٢٨، رقم ٢٣٥٤).

....

= أنهم من ذرية إسماعيل -عليه الصلاة والسلام- بن إبراهيم الخليل -عليهما الصلاة والسلام-، فنسبه الشريف معروف، وقريش قبيلة معروفة، وهو نبي هاشمي مطلبي، وهاشم من قريش، وقريش هي من أشرف القبائل، من ذرية إسماعيل عليه السلام، لأن إسماعيل الأب الثاني، والأب الأول إبراهيم عليه السلام، وقبلها نوحٌ، وقبلها آدمُ، وآدم هو أبو البشر، ثم نوح الأب الثاني، حمل معه في السفينة من آمن وهو عددٌ قليل، ثم نزلوا، ولما نزلوا انقرضوا، فبقي أولاد نوح، وقال تعالى: و ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الذاريات:٧٧]؛ سام ويافث وحام، ثم بعد ذلك إبراهيم، كل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم فهو على نبي من ذريته، فرزق الله إبراهيم ابنين، الابن الأول إسماعيل، وأمه هاجر؛ التي أخدمها ملك مصر في ذلك الزمان، فأنجبت إسماعيل فسرّاها إبراهيم، أعطاها سارة بنت عمة زوجه فولدت إسماعيل، ومن ذرية إسماعيل نبينا محمد ﷺ، وكانت زوجه سارةُ عقيمًا ثم رزقها الله إسحاق، بعد إسماعيل بمدة قالوا بعد اثني عشر عامًا، وكان من سلالة إسحاق يعقوب، وهو إسرائيل، وجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وآخرهم عيسى عليه السلام، فجميع الأنبياء =

وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ في النبوة. ، نُبِّئَ [١] بـ﴿اقْرَأْ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرْ﴾[٢].

= من سلالة إسحاق؛ وأما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من ذريتهما نبينا محمد ﷺ.

[١] نُبئ بعد تمامه الأربعين لأنه الوقت الذي يبلغ الإنسان أشده وقوته، عقليًا وجسميًّا، بُعِث على تمام الأربعين، فمدة النبوة والرسالة ثلاثة وعشرون سنة، وله من العمر -على الصحيح- ثلاث وستون سنة، وقيل ستون سنة، وقيل خمسة وستون.

[٢] فنبأه الله وأنزل ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] ثم بعد فترة أُرسِل بـ(المدثر)؛ لأنه جاءه جبريل عليه السلام في غار حراء وهو يتعبّد ما توارث على دين إبراهيم عليه السلام، ويأخذ ويتزوّد ما يكفيه من الطعام والشراب لليلتين أو ثلاث ليالي، ثم يذهب للعبادة في الغار، وجاءه جبريل عليه السلام على صورته وله ستمائة جناح، تملأ ما بين السماء والأرض جناحيه، فرُعِبَ منه رعبًا شديدًا، وقال له: «اقرأ»، فقال: «ما أنا بقارئ»، فغطه (١).

(١) الغط : العصر الشديد والضم.

....

حتى بلغه من الجَهد، فقال له مرة أخرى اقرأ، وغطه المرة الثانية حتى بلغه من الجهد، كل ذلك والنبي يكرر أنه ليس بقارئ ليس امتناعًا منه ﷺ، ولكن لأنه ليس قارئا، ولم يتعلم القراءة، فكان ﷺ أميًا لا يقرأ ولا يكتب، وقال العلماء: هذا توطئة لتحمل الرسالة، لأن الرسالة عبء ثقيل، ثم قال في الثالثة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

فرجع يرجُفُ فؤاده من رؤية المَلَك، مذعورًا خائفًا، وجاء لزوجته خديجة وقال: خِفتُ أن أختلج عاقلًا، فقالت: «كلاَّ؛ والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتكرم الضيف، وتكسب المعدوم، وتحمل الكَلّ[١]، وتعين على نوائب[٢] الحق»، هذه خصال حميدة، من اتصف بها لا يخزيه الله أبدًا، وبشرّته وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان رجلًا تنصّر، وكان يقرأ من الكتب العبرانية، فسأله فقال: ما الذي يأتيك؟ فقال: كذا وكذا، وكان شيخًا كبيرًا قد غمي، فقال:=

---

(١) الكَل: الثِّقَل مِن كل ما يُتكلَّف، وقيل: العيال ومن يحتاج إلى رعاية ونفقة.

(٢) النوائب: جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من الكوارث والحوادث المؤلمة.

= «هذا الناموس الذي كان يأتي موسى، وإنك نبي هذه الأمة، يا ليتني أكون جذعًا [١] حين يُخرجك قومك»، لأنه شيخ كبير قد طعن، فقال: «أوَمُخرِجيَّ هم؟» قال: «نعم، لم يأتِ أحدٌ مثل ما أوتيت به إلا أوذي»، ثم توفي [٢].

وجاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ بشّره بالجنة[٣]؛ لأنه أول من آمن به.

ثم بعد مدة قال: «دثروني، دثروني، زملوني، زملوني»، وذلك بعد أن جاءه المَلك وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، فصار رسولًا، فأنذر الناس.

وبذلك يكون للنبي ﷺ مرحلتان في النبوة والرسالة عبر عنهما القرآن الكريم، وهاتان المرحلتان هما:

الأولى: مرحلة النبوة فقط، وكانت بتنزيل قوله تعالى: (اقرأ) والتي صار بها ﷺ نبيًا.

---

(١) الجذع: الشاب الفتي القوي الذي يستطيع أن ينصر غيره ويرفع عنه الظلم.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١/ ٥، رقم: ٣).

(٣) حديث مرسل: أخرجه ابن أبي شيبة (ج٧/ ص٣٢٩، رقم ٣٦٥٥٥).

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَى الْـمَدِيْنَةِ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ[١]،

الثانية: مرحلة الرسالة، وكانت بتنزيل قوله ﷻ: (يا أيها المدثر، قم فأنذر) فحذّر الناس، وصار ﷺ بنزولها رسولًا.

[١] وكذلك يدعو ﷺ إلى ما أوجبه الله ﷻ من الخصال الحميدة، وينهى عن الشرك وما نهى الله عنه من الأعمال السيئة، والخصال الذميمة، والدليل على رسالته ما جاء في سورة المدثر من قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾.

«ٱلْمُدَّثِّرُ» يعني تدثّر بالثياب وتغطى بها. «قُمْ فَأَنذِرْ»: هذا أمر، قم أنذر الناس الشرك. «وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ»: أي عظّم ربك بالتوحيد، «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ»: أي طهّر أعمالك من الشرك، والثياب تطلق على الأعمال، وقيل الثياب من النجاسة، لكن المهم طهارة الأعمال من الشرك، وطهر ثيابك أي: العديم من النجاسات، إنما التشريع جاء في المدينة، وهذا في مكة.

«وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ» الرجز أي: الأصنام، فاهجر: أي اتركها، واترك أهلها، وتبرأ منها وأهلها.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ – ٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ[١]. وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ[٢]،

---

[١] أي استمر على هذه الدعوة في مكة عشر سنين، ولم ينزل شيءٌ من الشرائع، لا صلاة، ولا زكاة، ولا صيام، ولا حج. إذن المهم هو التوحيد، وهو أصل الدين وأساس الملة، ولا تصح الأعمال إلا بالتوحيد، ولأنهم كانوا مشركين في مكة، كان ﷺ يدعوهم إلى التوحيد طوال فترة إقامته بينهم، وهي عشر سنين، ثم بعد ذلك نزل فرض الصلاة إجمالًا.

[٢] يقول المؤلف رحمه الله أن النبي ﷺ بعد أن قضى بمكة عشر سنين يدعو إلى التوحيد عُرِجَ به إلى السماء، يعني قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل قبلها بسنة على خلاف، والمؤلف اختار أنه عُرِج به قبل ثلاث سنين.

فعُرِج به ﷺ إلى السماء بعدما أُسرِي به من مكة إلى بيت =

= المقدس، لأن الإسراء والمعراج في ليلة واحدة على الصحيح، وأسري به بروحه وجسده، يقظةً لا منامًا.

وقيل: أُسري به منامًا.

وقيل: أُسري به بروحه.

وقيل: مرةً يقظة، ومرة منامًا.

وقيل: الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة.

والصواب: أن الإسراء والمعراج في ليلةٍ واحدة، مرةً واحدة يقظةً لا منامًا، بروحه وجسده، لقول الله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]. والعبد: اسم للروح والجسد، عُرِج به إلى السماء بعدما أُسري به. وأسري به بالبُراق؛ بصحبة جبريل.

والبُراق: دابة، فوق الحمار دون البغل، أكبر من الحمار وأقل من البغل، ركبه جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ من مكة، سافر به إلى بيت المقدس في الشام، وهذا البُراق خطوه مد البصر -يعني الخطوة الواحد هي نهاية البصر، والخطوة الثانية نهاية البصر-، فقطع المسافة التي هي بين مكة والشام كان يقطعونها في شهر في ذلك الزمن على الإبل، قطعه في مدة وجيزة ما يُقارب ساعة أو =

= ساعة ونصفًا، مثل سرعة الطائرة تقريبًا، وسمي البراق: لأن فيه برقًا ولمعانًا، ثم لما وَصَلا إلى بيت المقدس ربط البُراق أي الدابة في حلقة باب بيت المقدس، وجُمع الأنبياء فصلى بهم النبي ﷺ، ثم أُتي بالمعراج، وهي كهيئة الدرج، فصعِدَ فيه جبريل عليه السلام ثم النبي ﷺ من بيت المقدس إلى السماء.

وصعد إلى السماء الدنيا: ووجد فيها آدم.

ثم السماء الثانية: فوجد فيها يحيى وعيسى.

ثم السماء الثالثة: فوجد فيها إدريس.

ثم السماء الرابعة: فوجد فيها يوسف.

ثم السماء الخامسة: فوجد فيها هارون.

ثم السماء السادسة: فوجد فيها موسى.

ثم السماء السابعة: فوجد فيها إبراهيم.

وكل سماء محروسة؛ لها حُرّاس، وكل سماء يستفتح جبريل، فيقال: «مَنْ؟» يقول: «جبريل»، فيقال: «من معك؟» فيقول: «محمد». يقال: «قد أُرسِل إليه؟» فيقول: «نعم».

وكل واحد من الأنبياء يُرحِّبُ به، ويَقِّرُ بنبوته، فآدم قال: «مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح»، وإبراهيم قال:=

وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَواتُ الْـخَمْسُ[١]،...................

= «مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح»، وبقية الأنبياء قالوا: «مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح»، ثم تجاوز إلى سدرة المنتهى بعد السبع الطِباق، حتى وصل إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام؛ التي تكتب القلم، فكلّمه رب العزة والجلال بدون واسطة، لكنه لم يرَ الله على الصحيح، بل كلمه من وراء حجاب، وقيل: رأى الله، وهو قول مرجوح، والصواب أنه رآه بقلب عينه لا بعين رأسه، لأنه لا أحد يستطيع أن يرى الله في الدنيا، حتى النبي ﷺ؛ فلو كشف الله ﷻ وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خَلْق[(١)].

ولما سأل موسى الرؤية: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

[١] لا يستطيع أحد أن يرى الله في الدنيا، ورؤية الله من النعيم الذي ادخره الله ﷻ لأهل الجنة، ثم فرض عليه الله خمسين=

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١/ ١٦١، رقم ١٧٩).

وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ[١]، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى «الْمَدِينَةِ»، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ[٢].

=صلاة، فلما وصل إلى السماء السادسة سأله موسى ؛ كم فرض ربك؟ قال: «خمسين صلاة»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف عن أمتك، لأن أمتك ضعيفة لا تُقبل خمسين صلاةً في اليوم والليلة، فاستشار جبريل فأشاره إليه؛ فعلا به إلى الجبار أ فوضع عشرًا، وفي رواية خمسًا، فجعل يتردد بين ربه ـ وموسى ؛ حتى خففها الله لأ إلى خمس صلوات، فأمره موسى أن يخفف عن خمس؛ فقال: «لا»، قال: «**إني سألت ربي حتى استحييت**»، فنادى منادٍ من السماء فأمضيت فريضتي فخففت عن عبادي ما يبدل القول إلا لدي، خمس في العدد وخمسون في الأجر في الميزان. وهذا يدل على عظم شأن الصلاة، فُرِضت في المحل الأعلى خمسين صلاة، وفرضت عليه خمس صلوات.

[١] ولكن الأذان والجماعة فُرِضَا في المدينة، فكان في مكة صلاة وليس هناك جماعة.

[٢] الهجرة هي: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام هذا إلى قيام الساعة، وأما الهجرة من مكة إلى المدينة انتهت بعد أن فُتِحت مكة وصارت بلد الإسلام، والدليل على وجوب الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلام، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ [١] ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ [٢] قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا [٣] ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰيَ فَٱعْبُدُونِ [٤]﴾ [العنكبوت: ٥٦]. قَالَ الْبَغَوِيُّ رحمه الله: «نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».

---

[١] أي الذين توفتهم الملائكة ولا زالوا مقيمين ما بين الكفار.

[٢] يعني هذه مسألة كبيرة توعد الله فيها بالنار، وهذا وعيد شديد لمن ترك الهجرة.

[٣] استثنى الله عز وجل هذه الأصناف من الناس لضعفهم وعجزهم من الهجرة.

[٤] فالأرض واسعة والمكان الذي لا تستطيع أن تعبد الله فيه فانتقل عنه.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُـهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْـرَةُ حَتَّى تَنْقَطِـعَ التَّوْبَـةُ، وَلا تَنْقَطِـعُ التَّوْبَـةُ حَتَّـى تَطْلُـعَ الشَّـمْسُ مِـنْ مَغْرِبِهَا»(١).

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْـمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثْلِ: الزَّكَـاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْـحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْـرِ بِالْـمَعْرُوفِ وَالنَّهْـيِ عَنِ الْـمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِـعِ الإِسْـلامِ [١]، أَخَـذَ عَـلَى هَـذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ ـ صَلواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْـهُ، وَالْـخَيْرُ الَّذِي دَلَّـهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً [٢]،

[١] كل هذه الشرائع وغيرها فُرِضت في المدينة.

[٢] فرسالة النبي ﷺ موجهة للثقلين الجن والإنس، فمن قال: «رسالته خاصة للناس»، أو قال: «بعده نبي»، فهو كافر =

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٩٩، رقم ١٦٩٥٢)، وأبو داود (٣/ ٣، رقم ٢٤٧٩)، والطبراني (١٩/ ٣٨٧، رقم ٩٠٧)، والبيهقي (٩/ ١٧، رقم ١٧٥٥٦) . والدارمي (٢/ ٣١٢، رقم ٢٥١٣)، والنسائي (٥/ ٢١٧، رقم ٨٧١١)، وأبو يعلى (١٣/ ٣٥٩، رقم ٧٣٧١) .

وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ[١]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

= بإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال ﷺ: «**بُعِثتُ إلى الناس عامة**»(١). وكل نبي بُعِثَ إلى قومه خاصة، والنبي ﷺ إلى الناس كافة.

[١] طاعة النبي ﷺ واجبة علي الإنس والجن جميعًا، هو ﷺ رسول الله إلى العرب والعجم من الجن والإنس، والجن مُكلّفون بالشرائع مثل ما كُلِّف الإنس، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١/ ١٢٨، رقم ٣٢٨)، ومسلم (١/ ٣٧٠، رقم ٥٢١).

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ [١] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

[١] فهو ميّت، ولكنه حيٌّ حياةً برزخية، وجسده الشريف لا تأكله الأرض، طري باقٍ، وحرّم الله الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء جميعًا(١). وأما سائر الناس فتبلى أجسامهم، ولا يبقى إلا عَجم الذنب؛ آخر فقرة في العمود الفقري، حبة صغيرة ما تأكلها الأرض، يقول النبي ﷺ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»(٢).

وقد ذكر المؤلف رحمه الله الدليل على موته ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣١]. فبعض الناس يُنازع أنه لم يمت، وكذلك يدل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٨، رقم ١٦٢٠٧)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٣، رقم ٨٦٩٧)، وأبو داود (١/ ٢٧٥، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (٣/ ٩١، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (١/ ٥٢٤، رقم ١٦٣٦)، والدارمي (١/ ٤٤٥، رقم ١٥٧٢)، وابن حبان (٣/ ١٩١، رقم ٩١٠)، والحاكم (١/ ٤١٣، رقم ١٠٢٩) وقال: صحيح على شرط البخاري. والطبراني (١/ ٢١٦، رقم ٥٨٩)، والبيهقي (١/ ٥١٩، رقم ١٦٦٦)، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم (١٥٢٧).

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧١، رقم ٢٩٥٥).

تتمة مهمة

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ[١] وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ[٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ[٣]، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ

---

[١] يعني الأرض، هذا دليل على البعث، وبعد البعث مُحاسبون ومجزيون، خلق الله العباد حينما يُنزل الله مطرًا، تنبت فيه أجساد الناس فإذا هُذّبوا ونقوا فأمر الله بنفخ الصور فعادت الأرواح إلى أجسادها، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

[٢] أي: الدليل على أن الناس محاسبون.

[٣] ومن قال: «الأرواح هي التي تُبعث» فهو كافر، كالفلاسفة، =

كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧] [١].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ[٢]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

= يقولون: إن الأرواح هي التي تُبعث. فالأرواح باقية، روح المؤمن إذا مات نُقِلت إلى الجنة ولها صلةٌ بالجسد، وروح الكافر تُنقل إلى النار ولها صلة بالجسد، والجسد يَبلى، والأرواح باقية في نعيم أو في عذاب، لا بد من إيمان البعث بالأجساد. ومن لم يؤمن به فهو كافر.

[١] ومثله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ﴾ [سبأ: ٣]. وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ [يونس: ٥٣].

[٢] أرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، وهذه وظيفة الرسل، يُبشّرون من أطاعهم، ومن وحّد الله بالتوحيد، ويؤمن بالجنة، ويُنذِرون من عصاهم من النار، والمؤلف يربط كل مسألة بالدليل.، فذكر الدليل على ذلك. قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ =

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام [١]، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛

= وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

[١] فنوح أوّل رسول بعثه الله تعالى إلى الأرض بعد وقوع الشرك، أرسله إلى بنيه وغيره، لكن سبقه نبيٌّ، وهو آدم عليه السلام كان نبيًّا بين ذريته، لكن الشرك لم يقع في زمانهم، بل وقعت المعصية فقط، فقابيل قتل أخاه هابيل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩]. قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على التوحيد، ثم محا الشرك في قوم نوح، ومات قومٌ صالحون في زمن نوح، مثل: «ود، وسواع، ويغوث، ويعوق ونسر» في زمن متقارب، فحزنوا عليهم فصوّروهم ليتذّكروا عبادتهم ليكون تشويقًا لهم، ثم جاء أحفادهم فعبدوهم، كذب عليهم إبليس فقال: «إن آباءكم كانوا يستسقون بهم» فعبدوهم، فأرسل الله نوحًا بعد حدوث الشرك.

وكذلك كان آدم نبيًّا إلى بَنيه، ما معهم غيره، وأما نوح فهو نبيٌّ إلى بَنيه وإلى غير بَنيه، وهو أول رسول بعثه الله بعد وقوع الشرك.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ [١]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بالطَّاغُوتِ [٢] وَالإِيمَانَ باللهِ.

---

[١] كُلُّ أمةٍ بعث الله إليهم رسولًا من نوح؛ إلى محمد ﷺ، يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت والشرك، وعن عبادة غير الله، والطاغوت كل ما عُبِد غير الله ـ فهوَ الطاغوت، إلا من لم يرضَ بالعبادة، كالأنبياء وعيسى، فلا يُسمى «طاغوت».

[٢] والكفرُ بالطاغوت هو: البراءة من كل معبود سوى الله وتركها، ومُعاداتها وبُغضها وبغض أهلها، وأن تعتقد بُطلان عبادة غير الله، وتتركها وتُنكِرها، وتكّفِر أهلها، وتَبغضهم وتُعاديهم، هذا فرض على كل مسلم. كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وكلمة التوحيد تشمل هذين الجانبين: =

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ [١] مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ»(١). وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ [٢]:

إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ [٣].

وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ [٤].

= ففيها كفرٌ بالطاغوت، وهو «لا إله»، وفيها الإيمان بالله ـ، وهو «إلا الله».

[١] وحد أي مخلوق أن يكون عبدًا لله، فإذا تجاوز حده ورضي بأن يعبد صار طاغوتًا، وكذلك المتبوع إذا رضي أن يتبع الباطل تجاوز حده صار طاغوتًا، وكذلك إذا رضي أن يُطاع في معاصي الله صار طاغوتًا. فحدأي مخلوق أن يكون مؤمنًا لله، مطيعًا لله، وعابدًا لله، ومتبعًا طريقة النبي ﷺ.

[٢] هؤلاء الخمسة رؤوس الطواغيت، وبقية الطواغيت يتبعهم.

[٣] **الرأس الأول:** إبليس -لعنة الله عليه-، وهو قوّادٌ لكل شر وفتنة.

[٣] **الرأس الثاني:** من عُبِدَ وهو راضٍ، أي يعبده الناس وهو راضٍ.

(١) إعلام الموقعين: (١ / ٥٨ - ٥٩).

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ [١].

وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ [٢].

وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ [٣].

وَالدَّلِيلُ [٤] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ [٥] قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ [٦] فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ [٧] لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

---

[١] الرأس الثالث: من دَعا الناس إلى عبادة نفسه من دون الله.

[٢] الرأس الرابع: من ادّعى شيئًا من علم الغيب.

[٣] الرأس الخامس: من حَكَم بغير ما أنزل الله.

[٤] أي: الدليل على أنه يجب على الإنسان أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله.

[٥] قيل هذا قبل الجهاد، وقيل نزلت هذه الآية في أهل الكتاب، لأنهم مخيرون بين الإسلام والجزية.

[٦] الرشد هو: دين النبي ﷺ، والغي هو: الكفر، أي وضح الإيمان من الكفر.

[٧] العروة الوثقى هي: كلمة التوحيد؛ أي، قد تبين الرشد من =

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ، وَفِي الحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ [١] الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

= الضلال، والإيمان من الكفر، فلا أحد يُكره في الدين، لأن الرشد قد تبين ووضح، فمن يكفر بالطاغوت، فيتبرأ من عبادة غير الله، ويتركها ويبغضها، ويُعاديها ويُعادي أهلها، ويؤمن بالله فهذا هو المؤمن ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله».

[١] أي رأس الإسلام التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ، والشهادتان لله بالوحدانية، والشهادة بالنبي ﷺ بالرسالة، وعموده الصلاة الركن الأعظم، وأعلى شيء فيه الجهاد في سبيل الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله تعالى

(١) حديث صحيح: أخرجه الطيالسي (ص ٧٦، رقم ٥٦٠)، وأحمد (٥/ ٢٣١، رقم ٢٢٠٦٩)، والترمذي (٥/ ١١، رقم ٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٣١٤، رقم ٣٩٧٣)، والحاكم (٢/ ٤٤٧، رقم ٣٥٤٨)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٣، رقم ٤٢٢٥)، والطبراني (٢٠/ ١٤٣، رقم ٢٩٢)، وقد صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع في ج٢/ ٩١٣ برقم الحديث (٥١٣٦) المكتب الإسلامي.

الفهرس





رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

